

[أخبار المتنبي]

هو أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الملقب بأبي الطيب وكان والده الحسين يُعرف بـ عِيدَانِ السَّقَا (١).

وكان مولد المتنبي بالكوفة سنة ثلاث وثلاث مئة وكان شاعراً عظيماً مشهوراً مذكوراً محظوظاً من الملوك والكبراء . قدم الشام في صباه وجال في أقطارها .

وكان يكتّم نسبه . فسُئِلَ عن ذلك ، فقال : إني أنزل دائماً على قبائل العرب ، وأحب ألا يعرفوني ، خيفة أن يكون لهم في قومي تيرة (٢) .

قال أبو الحسن « محمد بن يحيى العلوي » (٣) .

كان أبو الطيب وهو صبيّ ينزل في جوارى بالكوفة ، وكان محبباً للعلم والأدب ، فصحب الأعراب في البادية ، وجاءنا بعد سنين بدويّاً فحجاً (٤) وكان تعلم الكتابة والقراءة فلزم أهل العلم والأدب ، وأكثر من ملازمة الوراقين (٥) فكان علمه من دفاترهم .

وأخبرني وراق قال :

ما رأيت أحفظ من ابن عِيدَانِ قَطُّ ، فقلت له : كيف ذلك ؟ فقال : كان اليومَ عندي وقد أحضر رجل كتاباً نحو ثلاثين ورقة ليبيعه ، فأخذ ابن عِيدَانِ ينظر فيه طويلاً . فقال له الرجل : يا هذا ، أريد بيعه ، وقد قطعني عن

(١) ح ، د ، هـ : بعبدان بالباء الموحدة وهو خطأ نبه عليه صاحب تاج العروس في مادة : عود قال : وعيدان السقاء بالكسر لقب والد الإمام أبي الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد المتنبي الكوفي الشاعر المشهور . هكذا ضبطه الصاغاني وقال : كان أبوه يعرف بعيدان السقاء بالكسر . قال الخافظ بن حجر : وهكذا ضبطه ابن ماكولا أيضاً . وقال أبو القاسم ابن برمان : هو أحمد بن عيدان بالفتح وأخطأ من قال بالكسر فتأمل . (٢) تيرة : تأر .

(٣) هو محمد بن عمر بن يحيى ينسب إليه زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم ، كان من أهل الكوفة ، ثم سكن بغداد ، وكان المتقدم على الطالبين في وقته ، والمنفرد في علوه مع اليسار وكثرة الضياع والمقار . ولد سنة ٣١٥ هـ وتوفي سنة ٣٩٠ هـ ، ثم حمل إلى الكوفة لسنة أو أقل فدفن بها (هامش المقتطف يناير سنة ١٩٣٦) .

(٤) قحاً : خالصاً . (٥) الوراقين : الذين ينسخون الكتب ويبيعونها .

ذلك، فإن كنت تريد حفظه فهذا يكون - إن شاء الله - بعد شهر . قال : فقال له ابن عيّدان : فإن كنت حفظته في هذه المدة فإلى عليك ؟ قال : أهب لك الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده ، فأقبل يتلوه ، حتى انتهى إلى آخره .

ومثله في قوة الحافظة ، ما حكاه الأمير أسامة بن منقذ^(١) عن أبي العلاء

قوة حافظة

أبي العلاء المعري

ب

المعري^(٢) ، قال : كان بأنطاكية^(٣) خزّانة كتب ، وكان الخازن بها رجلاً عَسَوِيًّا ، فجلست يوماً عنده ، فقال لي : قد خبأتُ لك خبيثة^(٤) غريبة ظريفة^(٥) ، لم يُسَمَّع^(٦) بمثلها في تاريخ ، ولا في كتاب منسوخ . قلت : وما هي ؟ قال : صبي دون البلوغ ضريبر يتردد إلى ، وقد حفّظته في أيام قلائل عدة كتب ؛ وذلك^(٧) أني أقرأ عليه الكُرْأسة والكراسيتين مرة واحدة ، فلا يستعيد إلا ما يشك^(٨)

(١) أسامة بن منقذ : كان من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (حصن قرب حماة) ومن علمائهم وشجعانهم . سكن دمشق ، ثم نبت به كاتنبو الدار بالكريم ، فانتقل إلى القاهرة ، وبقى بها مؤمراً معظماً إلى أيام الصالح بن رزيق فرجع إلى الشام ، وله عدة تأليف في فنون الأدب منها لباب الآداب ، وقد طبع بمصر أخيراً بتحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ، وله شرح جيد ، ووثر فائق ، فن شعره ما كتبه في صدر كتاب إلى بعض أهل بيته :

شكا ألم الفراق الناس قبل وروع بالنوى حى وميت
وأما مثل ما ضمت ضلوعى فأنسى ما سمعت ولا رأيت

(٢) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري اللغوي الفيلسوف الشاعر المشهور . ولد بالمعرة وهي بلدة صغيرة بالشام ، وعمى من الجدري وهو في الرابعة من عمره ، وتوفي بالمعرة سنة ٤٤٩ هـ .
(٣) أنطاكية : بفتح الهمزة وكسرهما وسكون النون وكسر الكاف وفتح الياء المخففة : بلد معروف بالشام . ونحن نستبعد هذه الرواية عن خزّانة أنطاكية ، وعن أسامة بن منقذ لأن أنطاكية أخذها الروم من المسلمين سنة ٣٥٨ هـ أي قبل ولادة أبي العلاء بنحو خمس سنين (ولد أبو العلاء سنة ٣٦٣ هـ) ولما أنزعتها الروم من المسلمين أدخلوها منهم ، فليس معقولاً أن يكون بها خزّانة كتب ونخازن وتقصد للاشتغال بالعلم ، ولم يستردها المسلمون إلا في سنة ٤٧٧ هـ أي بعد وفاة أبي العلاء (٤٤٩ هـ) بنحو ثمان وعشرين سنة ، وربما كانت أنطاكية في هذه الرواية محرفة عن كفر طاب وهي بلدة بين المعرة وحلب . كانت مشحونة بأهل العلم ، وكان بها من يقرأ الأدب ، ويشغل به ، وكانت لأبي المتوج نصر بن منقذ في أيام أبي العلاء فإذا ضم إلى ذلك أن أسامة بن منقذ ولد في سنة ٤٨٨ هـ ومات سنة ٥٨٤ هـ بدمشق زمن الأيوبيين كان ابن منقذ المروية عنه هذه الرواية هو أبو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ لا أسامة المولود بعد وفاة أبي العلاء - اقرأ تعريف القدماء بأبي العلاء .

(٤) كذا في ٥ ، وفي ب : خبيثة ، وسقطت من « أ » . (٥) ح : طريقة .

(٦) سائر النسخ : تسمع بقاء في أوله . (٧) سائر النسخ : وذلك .

(٨) ح ، د ، هـ : شك .

فيه ، ثم يتلو على ما قد سمعه ، كأنه [كان] (١) محفوظاً له . قلت : فلعله قد يكون (٢) . قال سبحانه الله ! كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ! ولئن كان ذلك كذلك فهو أعظم . ثم حضر المشار إليه ، وهو صبي دميم الخلق ، مُجَدَّر الوجه ، على عينيه بياض من أثر الجدرى كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلاً ، وهو يتوقد ذكاء ، يقوده رجل طويل من الرجال ، أحسبه يقرب من نسبه ، فقال له الخازن : يا ولدي ، هذا السيد رجل كبير القدر ، وقد وصفتك عنده ، وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك . فقال : سمعاً له وطاعة ، فيختار ما يريد .

قال ابن منقذ :

فاخترت شيئاً ، وقرأته على الصبي وهو يموج ويستزيد ، فإذا مر بشيء يحتاج إلى تقريره في خاطره ، يقول : أعد هذا ، فأردده عليه مرة وأخرى (٣) ، حتى انتهيت إلى ما يزيد على كراسة ، ثم قلت له : يُضنَّع هذا من قبيل نفسي . قال : أجل ، حرَّسك الله ! قلت : كذا ، وتلا على ما أمليته عليه ، وأنا أعارضه بالكتاب حرفاً حرفاً ، حتى انتهى إلى حيث وقفت عليه ، فكاد عقلي يذهب لما رأيت منه ، وعلمت أنه ليس في العالم من يقدر على ذلك إلا أن يشاء الله ؛ وسألت عنه ، فقيل لي : هذا أبو العلاء المعري التنوخي من بيت العلم والقضاء والثروة والغناء (٤) .

وأعجب من هذه ، ما حثكوى بعض طلبته عنه ، قال :

كان لأبي العلاء جار أعجمي . فاتفق أنه غاب عن المعرة ، فحضر رجل أعجمي يطلبه ، قد قدم من بلده ، فوجده غائباً ، فلم يمكنه المقام ، فأشار إليه أبو العلاء أن يذكر حاجته إليه . فجعل ذلك الرجل يتكلم بالفارسية ، وأبو العلاء يصغى إليه ، إلى أن فرغ من كلامه . ولم يكن أبو العلاء يعرف الفارسية ، ومضى الرجل ، وقدم جاره الغائب . وحضر عند أبي العلاء ، فذكر له حال الرجل ، وجعل يذكر له بالفارسية ما قال : والرجل يبكي ويستغيث ويلطم ، إلى أن فرغ

(١) زيادة تستقيم بها العبارة .

(٢) كذا في الأصل ، سائر النسخ : قد يكون محفوظاً له .

(٣) ب : فأردده عليه مرة أخرى . سائر النسخ : فأردده عليه مرة أخرى .

(٤) الغناء : النفع وقد رسمت في النسخ الأخرى بالألف بدون همزة بعدها .

من حديثه، وسُئِلَ عن حاله، فأخبرَ أنه أُخبرَ بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله .
ومثل هذه ما ذكره تلميذه أبو زكريا التبريزي^(١) :

أنه كان قاعداً في مجلسه بمعرة النعمان بين يدي أبي العلاء ، يقرأ شيئاً من تصانيفه . قال : وكنت قد أقمت عنده سنين ولم أر أحداً من أهل بلدي ، فدخل المسجدَ بعضُ جيراننا للصلاة ، فرأيتُه وعرفته ، وتغيرت من الفرح . فقال لي أبو العلاء : أى شيء أصابك ؟ فحكيت له أني رأيت جاراً لي ، بعد أن لم ألتق أحداً من أهل بلدي سنين . فقال : قم فكلمه . فقلت حتى أتمم السبقي^(٢) . فقال : قم وأنا انتظر . فقلت وكلمته بلسان الأذربية^(٣) شيئاً كثيراً ، إلى أن سألت عن كل ما بدا لي ، فلما رجعتُ ، ووقفت بين يديه ، قال لي : أى لسان هذا ؟ قلت : هذا لسان أذربيجان . فقال لي : ما عرفتُ اللسان ولا فهمته ، غير أني حفظت ما قلتما ، ثم أعاد عليّ اللفظ بعينه ، من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه . وهذا من أعجب العجائب ، لأنه حفظ ما لم يفهمه .

وحكى عنه بعض أصحابه أيضاً أن جاراً سماناً كان بينه وبين رجل من أهل المعرفة معاملة ، فجاء ذلك الرجل ، وحاسبه برقاع يستدعى فيها ما يأخذه منه عند حاجته إليه . وكان أبو العلاء في غرفة يسمع محاسبتهما . قال : فسمع أبو العلاء السمان المذكور بعد مدة يتأوه ويتلملم ، فسأله عن حاله ، فقال : كنت حاسبت فلاناً برقاع كانت له عندي ، وقد عَدمتها ، ولا يحضرنى حسابها . فقال : ما عليك من بأس ، أنا أملئ عليك حسابها ، وجعل يملئ معاملته رقعة برقعة ، والسَّمان يكتبها ، إلى أن فرغ وقام ، فما مضت إلا أيام يسيرة ، ووجد السمان الرقاع ، فقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء ، فطابق لإملاؤه الرقاع .

(١) هو أبو زكريا يحيى بن علي الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ، أحد أئمة اللغة ، كانت له معرفة تامة بالأدب من النحو واللغة وغيرها ، وكان ثقة في اللغة وما ينقله ، وصنف في الأدب كتباً كثيرة منها : شرح الحماسة ، وشرح دواوين أبي تمام والمتنبي والمعري وشرح المعلقات والمفضليات ولد سنة ٤٢١ وتوفي ببغداد سنة ٥٠٢ هـ .

(٢) السبقي : بالتحريك المقتران الذي يقرأ في الدرس عادة .

(٣) جميع النسخ : الأذربية بالبدال المهملة وفي هامش (٥) : الأذربية بالذال المعجمة نسبة إلى أذربيجان وهو المعروف ولذلك أثبتناه .

والعَلَمَ الفرد في قوة الحافظة عبد الله بن عباس (١) ، رضى الله عنهما .
قال أبو العباس (٢) المبرد في كامله : وَيُرْوَى أَنَّ ابْنَ الْأَزْرُقِ (٣) أَتَى ابْنَ
عَبَّاسٍ يَوْمًا ، فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ حَتَّى أَمَلَّهُ (٤) ، فَجَعَلَ ابْنَ عَبَّاسٍ يُظْهِرُ الضَّجْرَ ،
وَطَلَعَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ (٥) عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ غُلَامٌ ، فَسَلِمَ
وَجَلَسَ ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَلَا تَنْشُدُنَا شَيْئًا مِنْ شِعْرِكَ ؟ فَقَالَ :

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٌ فُجْبِكِرٌ
بِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فِي جَوَابِهَا
تَسْهَمُ إِلَى نَعْمٍ فَلَا الشَّمْلُ جَامِعٌ
وَلَا قَرِيبٌ نَعْمٌ إِنْ دَنْتَ لَكَ نَافِعٌ
وَأُخْرَى أَنْتَ مِنْ دُونِ نَعْمٍ وَمِثْلُهَا
غَدَاةٌ غَدَدٌ أَمْ رَائِحٌ فَهُجْرٌ (٦)
فَتَسْبُلُغُ عَذْرَاءٌ وَالْمَقَالَةُ تُعْذِرُ (٧)
وَلَا الْحَبْلُ مُوَصُولٌ وَلَا الْقَلْبُ مُقْصَرٌ (٨)
وَلَا نَائِيهَا يُسْلِي وَلَا أَنْتَ تَصْبِرُ
نَهَى ذُو النَّهْيِ لَوْ يَسْرَعُ وَيُؤَيِّفُكَ (٩)

(١) هو عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولد عام الهجرة ، وكان يلقب
بجبر قریش لسعة علمه وأكثر ما اشتهر به أقواله في تفسير القرآن . مات سنة ٧٠ هـ عن سبعين عاماً ، وقيل
سنة ٦٨ هـ بالطائف .

(٢) هو أبو العباس محمد بن يزيد . ولد بالبصرة سنة ٢١٠ هـ ثم نزل بغداد ، وكان من أئمة
العربية في عصره ، حسن المحاضرة ، فصيح اللسان ، واسع العلم بالأخبار والنوادر ، ومات سنة ٢٨٦ هـ ببغداد .
(٣) هو نافع بن الأزرق الذي صار بعد التحكيم رئيس فرقة من الخوارج تسمى الأزارقة ، وكان من
أكبر فقهاءهم ، وقد كفر جميع المسلمين ما عدا أتباعه .

(٤) انظر الجزء الثاني من الكامل للمبرد ص ١٤٧ طبعة المطبعة العلمية .
(٥) شاعر قرشي من بني مخزوم نشأ بالمدينة في أسرة كريمة ، وقد اشتهر برقة غزله ، وشعره
القصصي ، يصف فيه أحوال النساء وما يكون بينهن من تراور ومداعبة ، وما اعتدنه من محادثة في لفظ
رشيق ، ومعنى أتيق ، ومات سنة ٩٣ هـ .

(٦) نعم : اسم محبوبته . مهجّر : من هجّر الراكب تهجيراً إذا سار وقت الهجرة .
(٧) في هامش (٥) عن نسخة والديوان طبع بيروت ١٣١١ هـ : حاجة . وعن إسحاق الموصلي قلت
لأعرابي ما معنى قول عمر بحاجة نفس ... قال قام كما جلس . تندر : من أندر إذا أثبت له عذراً ، ومعنى
البيتين أن الشاعر يسأل نفسه : أهو منصرف عن صاحبه نعم في يوم من الأيام ولما يظفر بحاجته منها مع
كلفه بها ؟

(٨) في هامش (٥) عن نسخة والديوان : أهيم . مقصر . من أقصر عن الشيء إذا كف عنه ونزع
مع القدرة عليه .

(٩) وأخرى : أى وصعوبة أخرى ومعنى البيت : عن مثل هذه الصعوبة نهى ذو العقل . وفي
الكامل والديوان « ذا النهي » والمعنى على هذه الرواية نهى مثل هذه العقبة ذا النهي عنها ومعنى البيت أن أمام
المحب عقبة دون ما يريد من حب نعم لو عرضت لغيره لانهى عن حبه وسيفصل ذلك في البيتين التاليين .

إذا زُرْتُ نَعْمًا لَمْ يَزَلْ ذَوْقَابَةٌ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ أَمُرَّ بِبَابِهَا
الْكِنِيِّ إِلَيْهَا بِالسَّلَامِ فَإِنَّهُ
بِأَيَّةِ مَا قَالَتْ غَدَاةً أَجَبْتُهَا
فَقِي فَانظُرِي يَا أَسْمَ هَلْ تَعْرِفِينَهُ ؟
أَهَذَا الَّذِي أَطْرَيْتِ نَعْمًا فَلِمَ أَكُنُّ ؟
فَقَالَتْ : ذَنَعَمَ لِأَشْكَ غَيْرَ لَوْزَةٍ
لَنْ كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدُنَا
رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ

لَهَا كُلَّمَا لَاقَيْتَهُ يَتَسَهَّرُ (١)
يُسِرُّ لِي الشَّحْنَاءَ وَالْبَغْضَ يَظْهَرُ (٢)
يُشَهَّرُ لِلْمَامِي بِهَا وَيُنْكَرُ (٣)
بِمَدْفَعِ أَكْنَانٍ أَهَذَا الْمُشَهَّرُ (٤)
أَهَذَا الْمُغَيْرِي الَّذِي كَانَ يُذَكَّرُ (٥) ؟
وَعَيْشُكَ أَنْسَاهُ إِلَى يَوْمِ أَقْبَرُ
سُرِّي اللَّيْلُ يُجِيبِي نَصَّهُ وَالتَّهَجُّرُ (٦)
عَنِ الْعَهْدِ وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ
فَيَضْحَكُنِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصُرُ (٧)

حَتَّى أَمَّتْهَا ، وَهِيَ ثَمَانُونَ بَيْتًا ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ الْأَزْرُقِ : اللَّهُ أَنْتَ يَا بَنَ عَبَّاسِ !
أَنْضَرِبُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ نَسْأَلُكَ عَنِ الدِّينِ فَتُعْرَضُ ، وَيَأْتِيكَ غَلَامٌ مِنْ قَرِيشٍ
فَيَنْشُدُكَ سَهْمًا فَتَسْمَعُهُ ؟ ! فَقَالَ : تَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ سَهْمًا فَقَالَ ابْنُ الْأَزْرُقِ :
رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَسْخَرُنِي وَأَمَّا بِالْعَشِيِّ فَيَخْصُرُ (٨)

(١) فِي الدِّيْوَانِ وَهَامِش (هـ) عَنِ نَسْخَةِ : لَاقَيْتَهَا . وَفِي جَمِيعِ النُّسخِ : يَتَنَهَّرُ وَفِي الدِّيْوَانِ وَالْكَامِلِ
وَهَامِش (هـ) عَنِ نَسْخَةِ : يَتَنَمَّرُ .
(٢) فِي : هـ : أَنْ أَمُرَّ بِبَابِهَا . وَفِي الدِّيْوَانِ وَهَامِش (هـ) عَنِ نَسْخَةِ : أَنْ أَمُ بِبَيْتِهَا .
(٣) أَلْكِنِيُّ مِنَ الْأَلْوَكَةِ وَهِيَ الرِّسَالَةُ ، وَلَفْظُهُ يَقْضِي بَأَنَّ الْمُخَاطَبَ مَرْسَلٌ ، وَأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ رَسُولٌ ،
وَالْعَرَبُ إِذَا تَسَمَّعَهُ بِمَعْنَى كُنْ رَسُولًا إِلَيْهَا فَهُوَ مِنَ الْمَقْلُوبِ الْمَعْنَى .
وَفِي : هـ ، د ، ح : أَكْنَى بَدَلَ : أَلْكِنِيُّ أَيُّ لَا اسْتَطِيعُ أَنْ أَصْرَحَ بِاسْمِهَا إِذَا أَلْمَتْتُ بِدَارِهَا .
(٤) أَكْنَانٌ بِالنُّونِ فِي ب ، د ، هـ وَالْأَغَانِي وَالْأَمَالِي وَالِدِّيْوَانِ . وَفِي : هـ ، ا ، ح : أَكْنَافٌ تَحْرِيفٌ .
وَمَدْفَعُ أَكْنَانٍ : مَوْضِعٌ .
(٥) فِي الدِّيْوَانِ وَهَامِش هـ عَنِ نَسْخَةِ : أَسْمَاءُ بَدَلَ (يَا أَسْمَ) . (٦) النَّصُّ : السَّيْرُ السَّرِيعُ .
(٧) يَضْحَكُنِي : مِنْ ضَحَى لِلشَّمْسِ كَرَضَى وَسَعَى : إِذَا بَرَزَ لَهَا . يَخْصُرُ : مِنْ الْخَصْرِ بِالتَّحْرِيكِ
وَهُوَ الْبَرْدُ يَجِدُهُ الْإِنْسَانُ فِي أَطْرَافِهِ . عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : قَالَ لِي الرَّشِيدُ أَنْشُدْنِي أَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي رَجُلٍ قَدْ لَوْحَهُ
السَّفَرُ ، فَأَنْشُدْتَهُ قَوْلَ عَمْرِو :

رَأَتْ رَجُلًا أَمَا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ
أَخَا سَفَرٍ جَوَابِ أَرْضٍ تَقَادَفَتْ بِهِ فُلُواتٌ فَهُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ
فَقَالَ : أَنَا وَاللَّهِ ذَلِكَ الرَّجُلُ . قَالَ : وَهَذَا بِعَقْبِ قَدُومِهِ مِنْ بِلَادِ الرُّومِ .

(٨) وَالْبَيْتُ عَلَى حَسَبِ مَا قَالَ ابْنُ الْأَزْرُقِ تَبِجٌ بِالْفَوَايَةِ ، يَصِفُهُ بِأَنَّهُ يَسْتَحْيِي مِنْ سَوْءِ عَمَلِهِ إِذَا
ظَهَرَ لِلنَّاسِ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ ، فَإِذَا مَا أَقْبَلَ اللَّيْلَ فَهُوَ سَادِرٌ فِي غَوَايَتِهِ .

فقال ما هكذا قال ، وإنما قال : « فيضحى وأما بالعشى فيخصر » .

قال : أو تحفظ الذى قال ؟ (١) قال : والله ما سمعتها إلا ساعتى هذه ، ولو شئت أن أردّها لرددتها (٢) . قال : فأردّها فأنشده إياها كلّها .

ومثلها ما حكاه أبو عبادَةَ البُحترى عن أبى تمام ، قال البُحترى : أول ما رأيتُ أبا تمام أنى دخلتُ على أبى سعيد محمد بن يوسف (٣) وقد مدحتُه بهذه القصيدة :

أ أفاقَ صَبَّ من هوى فأُفِيقا أم خان عهداً أمْ أطاع شفيقاً
إن السلوَّ كما زعمت (٤) لِسَراحةً لو راح قلبي للسلوِّ مُطيقاً
هذا العقيقُ وفيه سرّ رأى مُونِقٌ للعين لو كان العقيقُ عقيقاً (٥)

(١) كان ابن عباس يقول : ما سمعت شيئاً قط إلا رويته ، وإنى لأسمع صوت النائحة فأسد أذنى كراهة أن أحفظ ما تقول . ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة فقال : إنا نستجدها ، وكان بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحدث هذا المغيرى شيئاً بعدنا ؟

ولوم ابن الأزرَق ابن عباس على استماعه لشعر عمر يمثل رأى المتشددى فى وجوب أن يكون الأدب خالياً من كل ما يقيح ، أو يثير الميول الدنيئة ، وهناك رأى أوسع من هذا يرى أصحابه أن يكون الأدب صورة صادقة لأحاسيس النفس وواقع الحياة سواء منها الخير والشر ، وصنيع ابن عباس فى رواية هذا الشعر فى المسجد يؤيد هذا الرأى الأخير .

(٢) - ، د ، ه : ان أوردتها لأوردتها .

(٣) هو محمد بن يوسف بن عبد الرحمن المعروف بأبى سعيد الثفرى نسبة لعمله معظم أيامه فى ثغور المسلمين . كان قائداً من كبار القواد تحت إمرة الأفشين مع أبى دلف ومحمد بن حميد الطوسى . وأصله من مرو ، وفى ذلك يقول أبو تمام :

غريته العلا على كثرة الأهِل ل فأضحى فى الأقربى جنيبا
فليطل عمره فلو مات فى مر و مقيما بها لمات غريبا

وقد كان أبو سعيد جواداً متصل العطاء وإن لم يكثر ، وهو أحد مدوسى أبى تمام الذين دام اتصاله بهم حتى المات ، وربما كان ذلك بلجوده المتصل كما قدمنا ، ولأنه طائى مثله ، وكان عقد له على أرمينية وأذربيجان ، مات فجأة سنة ٥٣٦ هـ ، وولى المتوكل ابنه يوسف ما كان لأبيه من الحرب وخراج الناحية . وللبُحترى فى أبى سعيد مدائح كثيرة ، يشيد فيها بشجاعته وجوده وسداد رأيه وحسن بلائه فى غزو الروم ، ومحاربة الخوارج منها :

الغزير الذى إذا التقت الحر ب به صرف الردى كيف شاه

(٤) فى هامش ه عن نسخة : تقول .

(٥) العقيق : اسم لعدة أماكن فى الحجاز أشهرها عقيق المدينة وهو واد تنزله الطبقة الغنية من أهل المدينة . يقول إن بالعقيق لمنظراً يقيد النظر بحسنه لو كان كهمدنا به أهلاً بمن نحب .

أَشَقِيقَةَ الْعَلَمَيْنِ هَلْ مِنْ نَظَرَةٍ
 وَسَمَّتْكَ أَرْدِيَةَ السَّمَاءِ بِدِيمَةٍ
 وَلَنْ تَنَاوَلَ مِنْ بَشَاشَتِكَ الْبِلْسَى
 فَلَرَبَّ يَوْمٍ قَدْ غَنَيْنَا نَجْتَلِي
 عَلَّ الْبَحِيلَةَ أَنْ تَجُودَ بِهَا النَّوَى
 كَذَبَ الْعَوَازِلُ أَنْتَ أَفْتَكُ لِحُظَّةً
 مَاذَا عَلَيْكَ لَوْ اقْتَرَبْتَ لِمَوْعِدِ
 غَدَتِ الْجَزِيرَةُ فِي جَنَابِ مُحَمَّدِ
 بَرَقَتْ مَخَايِلُهُ لَهَا وَتَخَرَّقَتْ
 صَفَحَتْ لَهُ عَنْهَا السَّنُونَ وَوَاجَهَتْ
 رَفَعَ الْأَمِيرُ أَبُو سَعِيدٍ ذَكَرَهَا
 يَسْتَمْطَرُونَ يَدًا يَفِيضُ نَوَالِهَا
 يَبْقِظُ إِذَا اعْتَرَضَ الْخَطُوبَ بِرَأْيِهِ
 هَلَا سَأَلْتَ مُحَمَّدًا بِمُحَمَّدِ
 وَسَلَّ الشُّرَاةَ فَإِنَّهُمْ أَشَقَى بِهِ

فَتَبَلَّ قَلْبًا لِلْغَلِيلِ شَقِيقًا؟ (١)
 تُحْيِي رَجَاءً أَوْ تَرُدُّ عَشِيقًا
 طَرَفًا وَأَوْحَشَ أَنْسَكَ الْمَوْمِقَا (٢)
 مَغْنَاكَ بِالرِّشَاءِ الْأَنِيقِ أَنْيَقَا (٣)
 وَالِدَارَ تَجْمَعُ شَائِقًا وَمَشُوقَا
 وَأَغْضُ أَطْرَافًا وَأَعْذِبُ رِيْقَا (٤)
 يُنْسِي الْجُحَى وَسَقَيْتِنَا تَرْنِيْقَا (٥)
 رِيًّا الْجَنَابِ مَغَارِبًا وَشُرُوقَا (٦)
 فِيهَا عَزَّالِي جُودِهِ تَخْرِيْقَا (٧)
 أَطْرَافُهَا وَجَهَ الزَّمَانَ طَلِيْقَا (٨)
 وَأَقَامَ فِيهَا لِلْمَكَارِمِ سُوقَا
 فَيُغْرَقُ الْمَحْرُومَ وَالْمَرْزُوقَا
 تَرَكَ الْجَلِيلَ مِنَ الْخَطُوبِ دَقِيْقَا
 تَجَدَّ الْخَيْرِ الصَّادِقِ الْمَصْدُوقَا (٩)
 مِنْ أَهْلِ مَوْقَانَ الْأَوَائِلِ مَوْقَا (١٠)

- (١) شقيقة العلمين : مكان يقصده الشاعر . قلباً شقيقاً : مشقوقاً منقطعاً من الظماً ، والمراد به حرارة الشوق . يقول : هل لي من نظرة إليك تطفى حرارة ذلك الشوق الملتهب ؟
- (٢) الموموق : المحبوب .
- (٣) الرشأ : الظبي إذا قوى ومشى مع أمه . الأنيق : الحسن المعجب . المعنى : المنزل .
- (٤) في مخطوطي الديوان ، وهامش ه عن نسخة : أقتل .
- (٥) الترنيق : التكدير والتصفية من الأضداد وهو هنا بمعنى الثاني .
- (٦) الجزيرة : الأرض التي بين دجلة والفرات من الشمال .
- (٧) برقت مخاييله : دل وجوده بها على ما ينتظر لها من الخير . التخرق : التوسع في السخاء .
- الغزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء من الراوية ونحوها ، والمراد أنه أفاض عليها من كرمه وأغدق .
- (٨) السنون : جمع سنة والمراد بها الجذب .
- (٩) محمد : أي عن محمد ، قال تعالى : « سأل سائل بعذاب واقع » أي عن عذاب واقع ، ولعل المراد بالمسئول هنا محمد بن حميد الطوسي ، وكان أبو سعيد قائداً تحت إمرته ، فهو أعلم بشجاعته وإقدامه .

(١٠) الثرة : الخوارج ، جمع شار ، سمووا أنفسهم بذلك أخذاً من قول الله تعالى : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ... » إلخ الآية . وموقان : ولاية بها قرى ومروج كثيرة يحتلها =

كنا نكفر من أمة عصبية
 ونقول نيم قربت وعديئها
 ونلوم طلحة والزبير كليهما
 وهم قريش الأبطحين إذا انتموا
 حتى انبرت جشم بن بكر تبغى
 جساءوا براعيمهم ليتخذوا به
 طرحوا عباءته وألقوا فوقه
 عقدوا عمامة برأس قناته
 وأقام ينفذ في الجزيرة حكمته
 طلبوا الخلافة فحجرة فسوقا
 أمراً بعيداً حيث كان سحيقاً^(١)
 ونعنف الصديق والفاروقا^(٢)
 طابوا أصولاً فيهم وعروقا^(٣)
 لارت النبي وتداعيه حقوقاً^(٤)
 عمداً إلى قطع الطريق طريقاً^(٥)
 ثوب الخلافة مشرباً رآووقا^(٦)
 ورأوه براً فاستحال عقوقا
 ويظن وعد الكاذبين صدوقا

=التركان للرعي، فأكثر أهلها منهم وهي بأذربيجان. الموق: طرف العين مما يلي الألف، والمراد العين كلها. وفي البيت إشارة واضحة إلى اشتراك أبي سعيد في محاربة الخوارج وإلى اشتراكه في محاربة «بابك الخري» الذي كان ابتداء خروجه سنة ٢٠١ هـ، وقد حدثت وقائع في البلد مدينة «بابك»، وفي موقان وغيرها، ووقع بابك أسيراً في سنة ٢٢٢ هـ وحمل إلى المعتصم، فأمر بقطع يديه ورجليه، ثم بذبحه، وأرسل رأسه إلى خراسان، وصلب بدنه بسامرا التي بناها المعتصم، وكانت عاصمة الخلافة في ذلك الحين.

(١) تيم: رهط أبي بكر، وعدى: رهط عمر رضى الله عنهما.
 (٢) طلحة والزبير شيخان عظيمان من السابقين الأولين إلى الإسلام، وقد كان لها موقف معروف إلى جانب أم المؤمنين عائشة في وقعة الجمل. ١، ب: (كلاهما) ولا وجه لرفعها.
 (٣) هم قريش الأبطحين: يقال قريش البطاح أى الذين يزلون بين أخشى مكة أى جبلها العظيمين: أبي قبيس والأحمر.

(٤) جشم بن بكر: جماعة من تغلب خرجت على الخليفة بقيادة محمد بن عمرو الخارجي في ثلاثة عشر رجلاً فخرج إليهم غانم بن أبي مسلم بن حميد الطوسي، وكان على حرب الموصل في مثل عدتهم، فقتل من الخوارج أربعة وأخذ محمد بن عمرو أسيراً وبعث به إلى سامرا فسجن بمطبخ ببغداد، وقطع رهوس أصحابه. فعلقته هي بأعلامهم عند خشبة بابك، وقد ذكر البحري هذه الموقعة مفصلة في التصيدة التي يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف التي أولها:

لا دمنة بلوى خبت ولا تطلل يرد قولاً على ذى لوعة يسئل

والظاهر أن أبا سعيد كان مع غانم هذا في تلك الموقعة.

(٥) د، ح: عهداً في موضع (عمداً).

(٦) ب، ح، د: شرباً بدل مشرباً تحريف. وفي جميع النسخ والديوان: رآووقاً، والرأووق: المصفاة، والباطية، فاجود الشراب الذي يروق به وليس في واحد من هذه المعاني ما يناسب ما نحن فيه ولعلها محرفة عن: زاووقا، ومن معانيه الزئبق ومنه التزويق للترزين والتحسين لأنه يجعل مع الذهب فيظلى به يدخل في النار فيظير الزاووق ويبقى الذهب ثم قيل لكل منقش ومزين مزوق والمعنى أنهم ألقوا فوقه ثوب الخلافة مزوقاً مزيناً تمويهاً وخداعاً.

حتى إذا ما الحيةُ الذكْرُ انكفأ غضبانَ يلقى الشمسَ منه بهامة أوقى عليه فظلَّ من دهشٍ يظ غدرتْ أمانيه به وتمزقتْ طلعتْ جياذك من ربّنا الجودي قد يطلبنَ ثارَ الله عند عصابة يرمون خالقهم بأقبح فعلهم فدعا فريقاً من سيوفك حتفهم ومضى ابنُ عمر وقد أساء بعمره ركبتْ جوانحه قوادم روعه فاجتاز دجلة خائضاً وكأنها

من أرزن حنقا يمّج حريقاً (١)
تُغشى البروق تالّماً وبريقاً (٢)
نّ البرّ بجرّاً والفضاء مضيّقاً
عنه غيابة سُكره تمزيقاً (٣)
حُمّلن من دفع المنون وسوقاً (٤)
خلعوا الإمامَ وخالفوا التوفيقاً
ويحرقون قرآنه المنسوقاً (٥)
وشددت في عقّد الحديد فريقاً
ظناً ينزق مُهره تمزيقاً (٦)
فخذفته خذف المرير القوقاً (٧)
قعبُ على باب الكحيل أريقاً (٨)

- (١) الحية الذكر : كناية عن أبي سعيد . الخنق : المغيظ . يمّج حريقاً : كناية عن شدة الغيظ والغضب . أرزن : مدينة بأرمينية .
- (٢) ه ، مخطوطة الديوان : غضبان تلقى الشمس منه مهابة . . .
والديوان طبع القاهرة : غضبان يلقى الشمس منه بهامة . . .
ب ، ج ، د : تغشى العيون . . . بالغين المعجمة . ه : تغشى العيون بالمهملة . والمراد أن على رأسه بيضة لها لمعان يستر لمعان البروق .
- (٣) ح : غياهب بدل غيابة .
- (٤) دفع المنون : أمواجه . سائر النسخ : دفن مكان دفع . الرسوق : جمع وسق وهو الحمل .
- (٥) قرآنه : مخفف قرآنه . حدث إبراهيم بن عبد الله الكجى قال : قلت للبحرئى : ويحك أتقول فى قصيدتك التى مدحت بها أبا سعيد « أأفاق صب من هوى فأفريقاً » : يرمون خالقهم . . . أصرت قدرها معتزلياً فقال : كان هذا دينى فى أيام الوائث ثم فزعت عنه فى أيام المتوكل . فقلت له : يا أباعبادة ، هذا دين سوه يدور مع الدول .
- (٦) نرّقه : جعله يعدو بسرعة وخفة .
- (٧) الأصل : فخذفته حذف المرير القوقا . محرف .
ب ، ح ، د : والديوان طبع القاهرة : فخذفته حذف . . . ه : فخذفته خذف . . . الديوان وهامش (ه) عن نسخة : القوقا .
- خذف أو خذف : رى . المرير : الحبل اشته فثله . القوق : طائر مائى طويل العنق ولا معنى له هنا . القوق : مشق رأس السهم حيث يقع الوتر والمراد . أن حصانه قد حمله الحوف والفرز فطار كأنه السهم يطير من القوس .
- (٨) الكحيل : موضع بالجزيرة .

لو خاضها عمليقٌ أو عوجٌ إذن
لولا اضطرابُ الخوفِ في أحشائه
خاض الختوفَ إلى الختوفِ مُعانقاً
يجتابُ حِزَّةَ سهلها ووعورها
لو نَفَسَتْهُ الخيلُ لفتةً ناظر
لَشَتَى صُدُورَ السمرتِ كشفِ كُرْبَةٍ
وليسَ كَرَّتْ بكرٌ وراحتٌ تغلبُ
حتى يعودَ الذئبُ ليشاً ضيغماً
ههيهاتِ مارسَ قَلْبَلاً مُتَيْقِظاً
مُستسلفاً جعلَ الغبوقَ صَبُوحَهُ
لله ركضُكَ إذ يبَادِرُكَ المدى
جاذبته فضلَ الحياة فأفلتتُ
فرددتَ مهجته وقد كسرَ الردى

(١) عمليق ويقال عملاق واحد العماليق والمالقة وهم قوم تفرقوا في البلاد ضرب بهم المثل لشدهم وعظم أجسامهم . عوج بن عوق بضم العين فيما رجل يزعمون أنه مفرط في الطول وشناعة الخلقة .
(٢) زجلا : من الزجل وهو الجلبة ورفع الصوت . فهر المنجنيق : حجره ، والمراد أنه كحجر المنجنيق في الصلابة .

(٣) جميع النسخ ومطبوع الديوان : يجتاب حرة بالحاء والراء المهملتين والصواب حزة بالزاي وهى موضع بين نصيبين ورأس عين أو بلد قرب الموصل ، دقوقا : بالقصر ويمد مدينة بين إربل وبنجداد كان بها وقعة للخوارج .

(٤) جميع النسخ : كربه وفى الديوان وهامش (هـ) عن نسخة : كربة .

(٥) هـ ، الديوان : القرارة كما أثبتنا وسائر النسخ : القرادة تحريف .

النيق : أرفع مكان في الجبل .

(٦) مارس أى الخارجى . قلقلا أى رجلاً قلقلاً نشيطاً وهو وما بعده من صفات أبي سعيد .

(٧) هـ ، نختنا الديوان : مرى بمعنى جحد . ا ، ب ، ح ، د : يرى تحريف ، والمعنى أنه لفرط نشاطه يسبق الأوقات وما ينبغى أن يكون فيها من أعمال ؛ فهو يتعجل العبوق فيتناوله صباحاً ويتعجل الصبح فيتناوله مساء .

(٨) ا ، ب ، ح ، د : سيفك . هـ ، والديوان : سيقك وهو الصواب ، يعجب من سرعة

أبي سعيد وهو يطارد ابن عمرو وقد فر يريد سبقه إلى غايته ويعجب من إدراكه إياه فلم يستطع منه فراراً .

(٩) ا : ليحف . ب ، ح ، د ، هـ : ليحف ومعناه يطوف والغرض أنه يذوق طعم الموت مرة

بعد أخرى .

لَسِيسَ الْحَدِيدِ أَسَاوِرًا وَخِلَاحِلًا
بِالْتَلِّ تَلِّ رَبِيعَ بَيْنَ مَوَاضِعِ
سَاتِيدِمَا وَسِيوْفُنَا فِي هَضْبَةِ
حَتَّى تَتَاوَلَ تَاجَ قَيْصَرَ مُشْرَبًا
وَالْحَازِرَانَ وَهَتَمُ إِبْرَاهِيمَ فِي
قَتْلِ الدَّعَى ابْنِ الدَّعَى بِضَرْبَةٍ
وَالزَّبَابِ إِذْ خَانَتْ أُمِيَّةٌ فَاعْتَدَتْ
كَشَفُوا بَتْلَ كُشَافِ أَرْوَقَةَ الدُّجَى
نَلْنَاهُمْ قَبْلَ الشَّرْقِ بِأُذْرُعِ
حَتَّى تَرَكَنَا الْهَامَ يَنْدُبُ مِنْهُمْ

فَكَفَيْتَهُ التَّسْوِيرَ وَالتَّطْوِيْقَا (١)
مَا زَالَ دِينَ اللهُ فِيهَا يُوقَى
يَقْرَى إِيَّاسُ بِهَا الطَّلَى وَالسُّوقَا (٢)
بَدَمَ وَفَرَّقَ جَمَعَهُ تَفْرِيقَا
ثَنَيْتَهُمَا تِلْكَ الثَّنَايَا الرَّوْقَا (٣)
خَلَسَ وَخَرَّقَ جَيْشُهُ تَخْرِيقَا (٤)
تَزُجِي لَنَا جَمَعْدُ بِهَا الزَّنْدِيْقَا (٥)
عَنْ عَارِضٍ مَلَأَ السَّمَاءَ بِرُوقَا (٦)
يَهْزُنُ فِي كَيْبِدِ الظَّلَامِ شُرُوقَا (٧)
هَامًا بِيظَنِّ الزَّابِيْسِينَ فَلَيقَا (٨)

(١) ا، ب، ح، د، هـ : فكفيته .

(٢) ح، د، هـ : سالت دماء سيوفنا تحريف والصواب ما أثبتنا ، ساتيدما بألف مقصورة نهر يقرب أرنج وقيل جبل وقيل اسم واد ، يشير بذلك إلى أن كسرى أبرويز وجه إياس بن قبيصة الطائي عامله على الحيرة لقتال الروم بساتيدما فلقبهم بها وهزمهم فافتخر بذلك البحرى لأنه طائى مثله .

(٣) الحازران : قرينتان إحداهما بنواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن ، والأخرى من قرى السهول بالقرب من حلب .

ب، ح، د، هـ : والديوان الحازران . تحريف .

هـم : تكسير وتهيم . ثنيهما : هكذا في ا وهامش هـ عن نسخة ، والديوان أى منحنياتها ، وفي سائر النسخ ثنيتهما . الثنايا : جمع ثنية وهى العقبة أو الطريق فى الجبل .

الروق : جمع أروق وهو من طالت أسنانه العليا على السفلى ولعله يقصد بإبراهيم بن مصعب من أكبر قواد الدولة العباسية .

(٤) خلص : سريعة . فى هامش هـ عن نسخة وفى الديوان : وحرقت جيشه تحريقا .

(٥) خانت بالخاء المعجمة فى جميع النسخ . وفى نسخ الديوان : خانت بالخاء المهمله ومعناها :

هلكت . تزجى : ساقطة من ا، ب، ح، د تزجى . تحريف .

الزباب : نهر بين الموصل وإربيل ، ويسمى الزباب الأعلى ، والزباب الأسفل بين شهرزور وأذربيجان ، وهما من روافد دجلة من الشرق بينهما مسيرة يومين أو ثلاثة . والجمعدى هو مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين نسب إلى أستاذه الجمعد بن درهم ، وكان فيلسوفاً يرمى بالزندقة .

(٦) تل كشاف بضم الكاف موضع بناحية الزباب أى كان هؤلاء الأعداء لكثرة عددهم وشدة لمعان أسلحتهم ينثرون ظلام الليل .

(٧) ا، ب، ح، د : أدرع وفى هـ والديوان : أذرع .

(٨) الهام : جمع هامة وهى فى زعم العرب طائر يخرج من قبر القليل يصيح : اسقوفى اسقوفى حتى

يؤخذ بثأره ، والهام الثانية جمع هامة بمعنى الرأس .

يا تغلب ابنة تغلب حتى متى
تتجاوبون بدعوة مخلولة
ولقد نظرنا في الكتاب فلم نجد
أو ما علمتم أن سيف محمد
لا تتضمنه بأن تروموا خبطة
لا تحسبن الناس إن صفرت بهم
خلكوا الخلافة إن دون لقاتها
قد ردها زيد بن حصن بعدما
بالنهران فعاهدوه وأكدوا
ورجال طي مصلتون أمامه
لم يرضها لما اجتلاها صعبة
لو واصلت أحدا سوى أصحابها

تردون كُفراً موبقاً ومروقاً (١)
دعوى الحمير إذا أردن نهيها (٢)
لقالكم في آية تحقيقاً
أمسى عذاباً بالطغاة مُحيقاً (٣)
عسراء تُعي الطالين لُحوقاً
رُعيانكم بهماً أطاع ونوقاً (٤)
قدراً بأخذ الظالمين خليفاً
مدواً عليه رداءها المشقوقاً (٥)
عقداً له بين القلوب وثيقاً (٦)
ورقاً هناك من الحديد رقيقاً
لم تررضه خديناً لها ورفيقاً (٧)
منهم لكان أختاً لها وصديقاً (٨)

فسرَّ بها أبو سعيد ، وقال : أحسنت والله يا فتى .

وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه ، فوق كل من حضر في مجلسه ،
يكاد يمس ركبته ، فأقبل على وقال : يا فتى أما تستحي (٩) ؟ هذا شعري تمتلحه

ما جرى بين
أبي تمام
والبحري

(١) كذا في ١ ، نسختي الديوان . وفي سائر النسخ : بروقا يريد سيوقاً كالبروق ونستبعد هذه
الرواية لأن البحري لا يكرر القافية بعد بيتين

(٢) كذا في ١ ، ب والديوان وهامش ه وفي - ، د ، ه : يتجاوزون .

(٣) ه : عذاباً للطغاة .

(٤) صفر بالحمار من باب ضرب : دعاه بالصغير ليشرّب ، والخطاب في البيت لتغلب ابنة تغلب
الذين وجه إليهم النداء في البيت (٦١) ويقول لم هنا إن دعوتهم ليست من الدين في شيء وإلهم يشبهون
الحمير في ترديدها . الهم جمع همة وهي ولد الضأن .

(٥) - ، د : ودها تحريف بدليل قوله بعد : لم يرضها . وزيد بن حصن أحد الثوار في هذا

المهد وظاهر أنه ادعى الخلافة وليس رداً وكان ذلك بالنهران وهي وكر الخوارج منذ نشأوا .

(٦) سائر النسخ : تعاهدوه وفي ه عن نسخة ومطبوع الديوان : وعاهدوه . مخطوط الديوان : وعاقده .

(٧) اجتلاها كذا في نسختي الديوان ، ه من اجتلاء العروس . سائر النسخ : اختلاها .

(٨) سائر النسخ : لكان لها أختاً ، والوزن مستقيم .

(٩) أما تستحي كذا في - وفي غيرها بسقوط الهمزة .

وتنشده بحضرتي؟ فقال أبو سعيد: أحقاً ما تقول^(١)؟ قال: نعم، وإنما علمته مني فسبقتني به إليك، ثم اندفع فأنشده القصيدة حتى شككتني - علم الله - في نفسي، وبقيت متحيراً فأقبل عليّ أبو سعيد وقال: يا فتى لقد كان في قرابتك منا، وودك لنا ما يُغنينك عن^(٢) هذا، فجعلت أحلف بكل مُحرجة من الأيمان أن الشعر لي، ما سبقني إليه أحد، ولا سمعته ولا انتحلته، فلم ينفع ذلك شيئاً، وأطرق أبو سعيد، وقطع الكلام حتى تمنيت أني سُخِنتُ في الأرض، فقامت منكسر البال أجز رجلتي فخرحت، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان إليّ^(٣) فردوني، فأقبل عليّ الرجل، وقال: الشعر لك يا بني، والله ما قلت قط، ولا سمعتُ به إلا منك، ولكن ظننت أنك تهاونت بموضعي فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مُضاهاتي ومُكائرتي حتى عرفني الأمير نسبتك وموضعك، ولأوددتُ ألاّ تلد طائفة إلا^(٤) مثالك. وجعل أبو سعيد يضحك، فدعاني أبو تمام فضمني إليه وعانقتني، وأقبل يُقرّضني^(٥) ولزمته بعد ذلك، وأخذت عنه، واقتديت به^(٦).

(١) أحقاً ما تقول، كذا في ه وفي غيرها بسقوط (ما).

(٢) ما يغنيك من. (٣) كذا في ا، ب وفي غيرها: على بدل إلى.

(٤) إلا: ساقطة من سائر النسخ. (٥) ه: يقرظني وهما بمعنى.

(٦) قال الوليد بن عبيد البحرى: كنت في حدائثي أروم الشعر، وأرجع فيه إلى طبعي، ولم أكن أقف على تسهيل مآخذ، حتى قصدت أبا تمام، وانقطعت فيه إليه، واتكلت في تعريفه عليه، فقال لي: تخير الأوقات وأنت قليل الهموم، صفر من الغيوم، وأحسن الأوقات لتأليف شيء أو حفظه وقت السحر، لأن النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة، وقسطها من النوم، فإن أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقاً، والمعنى رشيقاً، وأكثر فيه من بيان الصبابة، وتوحيج الكتابة، وقلق الأشواق، ولوعة الفراق، وإذا أخذت في مديح سيد ذي أباد، فأشهر مناقبه، وأظهر مناسبه، وأهن معاملة، وشرف مقامه، ونضد المعاني، واحذر المجهول منها، وإياك أن تشين شركك بالألفاظ الزرية، وكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الأجسام، وإذا عارضك الفسجر فأرح نفسك، ولا تعمل إلا وأنت فارغ القلب، واجعل شهوتك لقول الشعر الذريعة إلى فظمه، فإن الشهوة نعم المعين، وجملة الحال أن تعتبر شركك بما سلف من شعر الماضين، فااستحسنه العلماء فاقصده، وما تركوه فاجتنبه ترشد إن شاء الله.

وروى أبو العباس سوار بن شراحة قال: حدثني البحرى قال: كان أول أمرى في الشعر ونباهتي فيه أنى صرت إلى أبي تمام وهو يمحض، فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل على وترك سائر الناس، فلما تفرقوا قال: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك؟ فشكوت إليه خلة، فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالخذق في الشعر، وشهد لي إليهم، وقال: امتدحهم فصرت إليهم بكتابه فأكرموني ووظفوا لي أربعة آلاف درهم وكان أول ما أصبته بالشعر.

وحفظة
بديع الزمان
ب

ونادرة الدنيا في سرعة الحفظ الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان^(١)
المهمّداني ، فإنه كان يُنشدُ القصيدة التي لم يسمعها قطّ فيحفظها كلها ويؤديها^(٢)
من أولها إلى آخرها لا يخترم حرفاً ، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق^(٣) من
كتاب لا يعرفه ثم يهدها^(٤) عن ظهر قلبه همدّاً ، ويسرّدها سرداً^(٥) .

ما جرى بين
بديع الزمان
وأبي بكر الخوارزمي

ويطلعك على حقيقته ذلك ما جرى بينه وبين الأستاذ أبي بكر الخوارزمي^(٦)
من المناظرة يوم اجتماعهما في دار السيد أبي القاسم المستوفى ، بمشهد من القضاة
والفقهاء والأشراف وغيرهم من سائر الناس* .

(١) هو الكاتب المترسل والشاعر المبدع صاحب المقامات المشهورة نشأ بهمدان ونبغ في الأدب
وتكسب به لدى الملوك والأمراء وكان معجزة زمانه في الحفظ وفيه يقول الثعالبي صاحب اليتيمة : إنه كان
صاحب عجائب وبدائع وغرائب فها . . . وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو إنشاء رسالة في معنى بديع
وباب غريب فيخرج منها في الوقت والساعة والجواب عنها فيها ، وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه
فيبتدئ بآخر سطر ثم هلم جرا إلى الأول ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ، ويشرح القصيدة الفريدة من قوله
بالرسالة الشريفة من إنشائه . . . ويعطى القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقية ، ويقترح عليه كل
عويص وعسير من النظم فيرتجله في أسرع من الطرف على ريق لا يبلعه ونفس لا يقطعه .

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) كذا في جميع النسخ والصواب : الأربع والخمس الورقات .

(٤) يهدها : يسرع في سردها وقراءتها . جميع النسخ : يهدها بالبدال المهملة .

(٥) في الذي ذكره من سرعة الحفظ كثير من الغرابة ربما لا يستساغ على أنه يصح شيء من ذلك
على سبيل الشذوذ ، والذين درسوا علم النفس وقوى العقل يقولون إن هذا جائز وإن كان نادراً ويسمون
الحواظ التي من هذا النوع الحواظ الصم يتصدون بذلك أنها مستعدة لأن تتحمل بما ينقل إليها تشبهاً لها
بالخراطئط الخالية التي يراد ملؤها بأسماء الأنهار والبلاد وغير ذلك وهي من الهبات التي يختص الله بها من يشاء
من عباده . شأنها شأن الهبات في كل فاحية من نواحي الحياة . وقد روى عن أبي العلاء المعري كثير مما
يشير الدهشة من قوة حافظته ورقة حسه .

(٦) لم نجد هذه المناظرة إلا في نسخة الأصل وفي مطبوعة دمشق وقد تقدم التعريف ببديع الزمان
أما أبو بكر الخوارزمي فهو محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر اللغوي الأديب المؤلف الرحالة
المدرس توفي سنة ٣٨٣ هـ وأشهر ما في حياته الأدبية اتصاله بالصاحب بن عباد ومناظرته لبديع الزمان .
واتصاله بالصاحب يفسر حملته على المتنبي جرياً على مذهب صاحبه .

* المناظرة الواردة هنا ملخصة بقلم المؤلف من نسخها التي أملاها بديع الزمان استجابة لرغبة السيد
أبي القاسم من أشراف بغداد وهي ساقطة من النسخ التي بأيدينا ما عدا الأصل وقد رجعنا في تصحيحها إلى نسختي
الرسائل المطبوعة والمخطوطة بدار الكتب وأقرأها في رسائل بديع الزمان على هامش خزائن الأدب لابن حجة من
ص ٢٩ وما بعدها . ولنا عليها تعليق تقرأه بعد ، وأقرأها أيضاً في إرشاد الأريب لياقوت طبع دار المأمون
٢٠٠ - من ص ١٧٣ - ص ٢٠٠ .

قال البديع : وأول القصّة أنا وطِئنا خُرّاسان ، فما اخترنا إلا نيسابور^(١) دارا ،
وإلاّ جوار السادة جوارا ، وقديماً كنا نسمع بهذا الفاضل ، ونقدّر أنا إذا وردنا
بلده يخرج لنا في العشرة عن القشرة^(٢) ؛ فقد كانت حلّمة الأدب جمعتنا ،
وكلمة الغربة نظمتنا ، وقد قال الشاعر^(٣) :

أجارتنا إنا غريبان ها هنا وكلُّ غريب للغريب نسيبُ

فأخلف ذلك الظنّ كلّ الإخلاف ، واختلف ذلك التقديرُ كلّ الاختلاف ،
وقد كان اتفق علينا في الطريق [من العرب]^(٤) اتفاق ، لم يوجهه استحقاق
من بيزة^(٥) ، بزوها ، وفضة فضوها^(٦) وذهب ذهبوا به ؛ ووردنا نيسابور براحة
أنقى من الراحة^(٧) ؛ وزى^(٨) أوحش من طلعة المعلم ، فما حللنا إلاّ قصبه جواره .
ولا وطئنا إلاّ عتبة داره بعد ما كتبنا له :

إنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاءه (كما طرب النشوان مالت به الخمر) .

ومن الارتياح للقائه (كما انتفض العصفور بلله القطر)^(٩) .

ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب)^(١٠) .

ومن الابتهاج بمزاره (كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب)^(١١) .

فكيف نشاط الأستاذ لصديق طوى إليه ما بين قصبتي^(١٢) العراق وخراسان ،

(١) نيسابور : إحدى مدن خراسان .

(٢) يخرج في العشرة عن القشرة : أى يطلعنا على حقيقة حاله ودخيلة نفسه بعد أن يأنس إلينا .

(٣) هو امرؤ القيس بن حجر الكننى وقد قال هذا البيت في رجوعه من عند قيصر .

(٤) زيادة من رسائل بديع الزمان التى اختصر منها المؤلف .

(٥) البزة : بالكسر الثياب والسلاح . بزوها : نزعوها وسلبوها .

(٦) فضوها : فرقوها .

(٧) براحة أنقى من الراحة : الراحة الأولى بمعنى جميع اليد ، والراحة الثانية بطن الكف . أى ورد

نيسابور ويده خلو من كل شيء كما يخلو باطن الكف من الشعر .

(٨) الزى : بكسر أوله : الهيئة .

(٩) البيت لأبي صفير الهذلى وصدده : * وإني لتعروفي لذكراك هزة * .

(١٠) ومثله لأبي فراس :

وحاربت أهل في هواك وإنيهم وإياى لولا حبك الماء والخمر

(١١) البيت لبشار ، وصدده : * وتأخذ عند المكارم هزة * .

(١٢) قصبتي العراق وخراسان : بغداد ومرو .

بل عتبي الجبل (١) ونيسابور؟ وكيف اهتزازه لضيف :

رث الشائل منهنج الأثواب بكرت عليه مغيرة الأعراب (٢)

وهو أيده ، الله ولي إنعامه ، بإنفاذ غلامه ، إلى مستقرى لأفضى إليه بما عندي .

قال البديع : فلما أخذتنا عينه سقانا الدردي (٣) من أول دته . وأجنانا سوء العشرة من باكورة فته . من طرف نظر بشطره ، وقيام دفع في صدره ، وصديق استهان بقدره ، وضيف استخف بأمره ، فقاربناه إذ جانب ، وواصلناه إذ جاذب ، وشربناه على كدورته ، ولتسيناه على خشونته ، ورددنا الأمر في ذلك إلى زى استغته ، ولباس استرته ، وكاتبناه نستمد وداده ، ونستميل فؤاده ، بقولنا : الأستاذ أزرى (٤) بضيفه إذ وجده يضرب أباط القلة في أطمار (٥) الذلة . فأعمل في تربيته أنواع المصارفة (٦) ، وفي الاهتزاز (٧) له أصناف المضايقة ؛ من إيماء بنصف الطرف ، وإشارة بشطر الكف ، ودفع في صدر القيام عن التام ، ومضع الكلام ، وتكاف لرد السلام ، وقد قبلت تربيته صعرا ، واحتملته وزرا ، واحتضنته تكرا وتأبطته شرا . ولم آله عذرا (٨) ؛ فإن المرء بالمال ، وثياب الجمال ، ولست مع هذه الحال ، وفي هذه الأسمال (٩) ، أتقرز (١٠) صف النعال .

(١) الجبل : إقليم جنوبي بحر قزوين .

(٢) أنهج الثوب : أبلاه . وفي ياقوت ج ٢ ص ١٨٥ : رق في موضع رث .

(٣) الدردي : عكر الزيت يرسب في أسفل الرعاء ، وفي المثل : أول الدن دردي .

(٤) أزرى بضيفه : احتقره .

(٥) أباط القلة في أطمار الذلة : أباط : جمع إبط . والقلة : المراد بها الفقر والفاقة .

والأطمار : جمع طمر بكسر الطاء : الثوب الخلق البالي . والمعنى أنه وجده فقيراً غريباً رث الهيئة .

(٦) في ياقوت : تربيته . والمصارفة : يراد بها صرفه بأي سبب لاحتقاره .

(٧) الاهتزاز له : الاحتفال به .

(٨) في ياقوت : تربيته . والصعر : ميل الوجه والنظر عن الناس تهاوناً . الوزر : الإثم .

النكر : المنكر . تأبط الشر : جعله تحت إبطه . لم آله عذرا : لم أقصر في الاعتذار له .

(٩) الأسمال : جمع سمل كالأطمار وزناً ومعنى .

(١٠) في الأصل : أتقرز . وفي نسختي الرسائل المطبوعة والمخطوطة : أتقرز صف النعال كما في

إرشاد الأريب ج ٢ ص ١٨٦ .

فلو صدقته العتاب ، وناقشته الحساب لقلتُ إن بوادينا ثاغية صَباح ، وراغية^(١) رواح ، وناساً يَجْرُونَ المطارف . ولا يمنعون المعارف :

وفيهم مقاماتٌ حسانٌ وجوههُم وأنديةٌ ينتابها القولُ والفعل^(٢)

ولو طرّحت بأبي بكرٍ إليهم طوارح^(٣) الغربية ، لو جد مَسَال البيشتر قريباً ، ومحطّ الرحلِ رحيباً ، ووجه له مُضيف^(٤) خصيباً ، ورأى الأستاذُ أبي بكرٍ في الوقوف على هذا العتاب الذي معناه ود ، والمر الذي يتلوه شهد ، موفق إن شاء الله .

فأجاب :

وصلتُ رقعةً سيدي ومولاي ، ورئيسي أطال الله بقاءه إلى آخر السكباج^(٥) ، وعرفتُ ما تضمنته من حسنِ خطابه ومؤلمِ عتابه وصرفتُ ذلك منه إلى الضَجْر الذي لا يخالو منه من سَنَة عُسْر . ونسباً به دهر . أما ما شكاه سيدي من^(٦) مضايقتي إياه في القيام ، فقد وفيته حقه على قدر ما قدرت عليه ، ووصلت إليه . فأما القوم الذين صدر عنهم فكما وصف . ولقد جاورتهم فأحمدتُ المراد ، ونلتُ المراد^(٧) .

(١) في الأصل وفي الرسائل المخطوطة : صباح . وفي الرسائل المطبوعة صباح وهو ما تمتضيه المطابقة . والثاغية : الغنم ونحوها . والثغاء : صوتها . والراغية : الإبل . والرغاء صوتها . والمراد أن لنا بأرضنا أهلاً لهم ثروة وجاه يمدوننا عند الاحتياج .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى من قصيدة أولها :

« صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو »

في مدح سنان بن أبي حارثة المري يمدحه هو وقومه بإشراق الوجوه والشهرة ، وأن لهم مجالس وأندية يتشاورون فيها في فهم الأمور ، ويشفعون القول بالعمل .

(٣) في نسختي الرسائل : ولو طوحت بأبي بكرٍ أيده الله إليهم طوائح الغربية .

(٤) الأصل : ووجد المضيف . تحريف . وهو ينظر إلى قول القائل :

أضاحك ضيق قبل إنزال رحله ويخصب عندي والحل جديب
وما ألخصب للأضياف أن تكثر القرى ولكننا وجه الكريم خصيب

(٥) السكباج : لفظ فارسي معناه طبيخ يعمل من اللحم والحل والمرق . والمراد هنا : ألوان العتاب التي اشتمل عليها كتاب الحوارزي للبديع .

(٦) كذا في الرسائل طبع الجوائب ص ١٦ ، وهي ساقطة من الأصل .

(٧) المراد الأول بفتح الميم مصدر ميمي أو اسم مكان أو زمان من راد القوم يرود إذا تقدم أمامهم في طلب الماء ، والمراد الثانية بضم الميم : اسم مفعول من أَراد .

فإن أكُ قد فارقتُ نجداً وأهلته فما عهد نجد عندنا بذيهم*

والله يعلمُ نيتي للناس كافة ، ولسيدي خاصة ، فإن أعانني على ما في نفسي .
بلغتُ إليه ما في النية ، وجاوزتُ مسافة القدرة ، وإن قطع علىَّ طريق عشرتي
بالمعارضة ، وسوء المؤاخذة ، صرفتُ عِنَانِي عن طريق الاختيار ، بيد الاضطرار :
فما النفسُ إلا نطفةٌ بقرارة إذا لم تُكدَّر كان صفواً معينها (١)

وبعد فحبذا عتاب سيدي إذا استوجبنا عتبا ، واقترفنا ذنباً ، فأما أن يسلفنا
العريضة ، فنحن نصونه عن ذلك ، ونصون أنفسنا عن احتماله .

قال البديع : فلما ورد الجواب عمداً لذكره فسحوناها (٢) عن صحيفتنا ،
ومحوناها . وصرنا إلى اسمه فأخذناه ، ونبذناه ، وتركنا خطته ، وتجنّبنا (٣) خلطته ،
ومضى على ذلك الأسبوع ، ودبت الأيام ، ودرجت الليالي ، وتطاوت المدة ،
وتصرم الشهر ، وصرنا لا نعيّر السماع ذكره ، ولا نودع الصدرَ حديثه ، وجعل
يستزيد ويستعيد بألفاظ تقطعها (٤) الأسماعُ من لسانه ، وتردُّها (٥) إلى ، وكلمات
تحفظها الألسنةُ من فيه (٦) وتعيدُها على . فكاتبناه : أنا أريد من الأستاذ
شريعةً وده وإن لم تصفُ ، وألبس خلعاً بره وإن لم تصفُ ، وقصاراى أن أكيله
صاعاً عن مُدِّ ، وإن كنت في الأدب دعى النسب ، ضعيف السبب ، ضيق
المضطرب ، سيء المنقلب .

* نص البيت كما جاء في مقدمة نوح الطيب للمقري :

فإن فك ودعنا الديار وأهلها فما عهد نجد عندنا بذيهم

(١) النطفة : الماء الصافي . القرارة : محل الماء .

المعين : الماء الظاهر الجارى على وجه الأرض ، والمراد أن النفس إذا بقيت بدون ما يكدرها كانت
طيبة كثيرة البشر .

(٢) السحر : القشر ، والمعنى أنه محاه من صحيفته .

(٣) هكذا في نسختي الرسائل ، وفي الأصل : « وكتبنا خطته » . تحريف .

(٤) تقطعها : تنقلها .

(٥) في نسختي الرسائل : توردها إلى .

(٦) في الرسائل المطبوعة : « وكلمات تنظفها الألسنة من فيه » ، وفي المخطوطة : « وكلام ينظفه

الألسنة من فيه » .

سیدی ناقشستی فی الحساب القبول أولاً ، وصار فنی فی الإقبال ثانياً ؛
فأما حديثُ الاستقبالِ وأمرُ الإنزالِ فنطاقُ الطمعِ ضيقٌ عنه ، غيرُ مُتسعٍ لتوقعه
منه ، وبعدُ فكلُّفَةُ الفضلِ بينة ، وفروضُ الودِ متعينة ، وأرضُ العشرةِ لينة ، فلم
اخترَ قَعودَ^(١) التعلیٰ مرکبًا ، وصَعُودَ التعلیٰ مَدَهَبًا^(٢) ، وشوقی قد كدَّ
الفؤادُ بِرَحًا إلى بِرَحٍ^(٣) ، ونكَّاهُ قَرَحًا على قَرَحٍ^(٤) ، ولكنها مِرَّةٌ مِرَّةٌ^(٥) .
ونفسٌ حُرَّةٌ ، وليس إلا غُصصُ الشوقِ ننجرعُها وحلُّ الصبرِ نندرُعُها ،
وأنا لو أعيرتُ جناحَ طائرٍ لما طيرتُ إلا إليه ، ولا وقعتُ إلا عليه .

قال البديع : وبقينا نقتعُ بالذكرِ وصلاً حتى جعلتُ عواصفهُ تَهَبُ ،
وعقاربهُ تَدِبُ ، وأفضتُ الحالُ إلى أنْ قال : لو أن بهذا البلدِ رجلاً تأخذه
أرْجحيةُ الكرمِ يجمعُ بيني وبينه ؟ ، وافق أن السيدَ أبا على نَشِطَ للجمعِ بيننا ،
فدعاني فأجبتُ ، ثم عرضَ على حضوره فطلبتُ ، فلما جاءنا تركناه على غَدَاة^(٦)
حتى إذا نفِضَ ما في راسه وفرغَ جَعَبَةً^(٧) وسواسه ، عطفنا عليه ، وقلنا : فلتهدأ
ضلعوكُ ، وليُفرخِ رَوْعُكُ^(٨) ولتسكنِ سَوْرَتُكُ^(٩) . ولتلتنِ فورتكُ^(١٠) ، ولا
ترقصِ لغيرِ طرب . ولا تحمِ^(١١) لغيرِ سببٍ ، وقديماً كنتُ أسمعُ بحديثك ؛
فيعجبني الالتقاءُ بك ، والاجتماعُ معك ، والآن إذ سهلَ الله ذلك ، فهلمَّ إلى
الأدبِ ننفقِ يومنا عليه ، وإلى الجدلِ نتجاذبِ طرفيه ، ولنبدأ بالفرن الذي ملكتُ
به زمانتُك ، وأخذتُ منه مكانك ، وطار به اسمك بعد وقوعه ، وارتفع له ذكرك
عقب خضوعه . . .

فقال : وما هو^(١٢) ؟ قلتُ الحفظُ إن شئتَ ، والنظمُ إن أردتَ ، والنثرُ إن اخترتَ ،

-
- (١) القمود : البكر من الإبل ، وفي الكلام استعارة .
(٢) الصعود : بفتح الصاد المكان المنحدر يصعد فيه ، ضد الهبوط .
(٣) كد الفؤاد : أجهده . والبرح : الشدة ، والمعنى أن شوقٍ إليه برح به ، وزاده ألما .
(٤) نكأ القرحة : قشرها قبل أن تبرأ .
(٥) المرة الأولى بكسر الميم : أى القوة . والمرة الثانية بضم الميم من المرارة ضد الحلاوة .
(٦) الغلواء : الغلو ، وأول الشباب ، والمراد هنا : التكبر .
(٧) الجعبة : وعاء السهام . (٨) الروح : الخوف ، وإفراخه : ذهابه وسكون النفس .
(٩) الحدة . (١٠) حركة اضطرابه .
(١١) لا تحم : من حمى إذا غضب . (١٢) (هو) ساقطة من الأصل .

والبدية إن نشطت ، فأحجم عن الحفظ رأساً ، ولم يُجَل في النثر قِدْحاً^(١) ،
وقال أبادهك ، واقتُرِح علينا أن نقول على وزن قافية أبي الطيب :

* أرق على أرق ومثلي يارق^(٢) *

وابتدر أبو بكر إلى الإجازة ، ولم يزل إلى الغايات سباقاً فقال :

وإذا ابتدهُتُ بديهةً يا سيدي	فأراك عند بديهتي تتعلق ^(٣)
وإذا قرصتُ الشعر في ميدانه	لا شك أنك يا أخى تَشَشَقُ ^(٤)
إني إذا قلتُ البديهة قلتها	عَجلاً وطبعك عند طبعي يرفق ^(٥)
مالي أراك ولست مثلي عندها	مُتموِّها بالترهات تُمخِرُق ^(٦)
إني أُجيز على البديهة مثل ما	تريانه وإذا نطقتُ أصدق
لو كنت من صخر أصم لهاله	مني البديهة واغتدى يتفلق
أو كنت ليثاً في البديهة خادراً	لرئيت يا مسكين مني تَفَرُق ^(٧)
وبديهة قد قلتها متنفساً	فقل الذي قد قلت يا ذا الأخرق

ثم وقف يعتذر ، ويقول : هذا كما يجيء لا كما يجب^(٨) ، فقلت قبل الله
عُذرك فخذ الآن جزاء عن قرصك ، وأداء لقرصك . وقلت :

مهلاً أبا بكر فزسدك أضيق	فاخرس فإن أخاك حي يرزق
دعني أعرك إذا سكت سلامة	فالقول يُسجد في ذوبك ويُعرق
ولفاتك فتكاتُ بيض سيوفكم	فدع الستور وراءها لاتُخِرُق ^(٩)

(١) القدح : السهم وأجال القدح رمى به . (٢) تمامه : * وجرى يزيد وعبرة تفرق *

(٣) تتعلق : أى يعلق عليك باب الكلام .

(٤) تشقق : المراد به تعجز عن اللحاق بـ . (٥) يرفق : يلين ويضعف .

(٦) الترهات : جمع ترهة وهى الباطل . تمخرق : تضع الكذب .

(٧) كذا في الرسائل ، وفي الأصل : لو كنت .

وخادراً : هكذا في نسختي الرسائل ، والخادر المقيم في أجمته مأخوذ من الخدر وفي الأصل : قادراً .

وقد روى الشطر الثاني كما أثبتناه في نسختي الرسائل . وفي الأصل : * لرؤيت يا مسكين دوني تبرق *

(٨) كذا في نسخة الرسائل المطبوعة . وفي الأصل وفي مخطوطة الرسائل : لا كما يجب بالحاء المهملة

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من التكلف والحشو والزحاف والقوافي الخشنة وقد اعترف ناظمها بأن هذا النظم

لا طائل تحته بقوله : إنه كما يجيء لا كما يجب .

(٩) الفاتك : الجرى الشجاع . خرق الستور : كتابة عن الافتضاح .

وانظر لأشنع ما أقول وأدعى أله إلى أعراضكم مُتسلِّق
يا أحمقاً ، وكفالك ذلك خنزيرة جربت نار معرقى هل تحرق ؟

فلما أصابه حرُّ الكلام ، ومسه لفحُّ هذا النظام ، قال : يا أحمقاً لا يجوز ، فإنه لا ينصرف ، وقطع علينا ؛ فقلنا : يا هذا لا تقطع ، فإن شعرك إن لم يكن عسيبة عيب ، فليس بظرف ظرف^(١) ، وأما أحمق فلا يزال يصفعك وتصفعه ، حتى ينصرف وتنصرف معه . وعرفناه أن للشاعر أن يرد ما لا ينصرف إلى الصرف ، كما أن له رأيه في القصر والحذف .

وقلنا : أخبرنا عن بيتك الأول ، أمدحت أم قدحت ؟ وذكيت أم جرحت^(٢) ؟
ففيه شيثان متفاوتان ، ومعنيان متباينان ، بدأت فخاطبت بيا سيدي ، وعطفت فقلت تتغلق . وهما لا يركضان في حلبة ، ولا يخطان في خطة^(٣) ؛ ثم قلت له : خذ وزناً من الشعر حتى أسكت عليك ، فستوفى من القول حظك ، واسكت علينا حتى نستوفى حظنا ، ثم إنى أحفظ عليك أنفاسك ، وأوافقك عليها ، واحفظ على أنفاسي ووافقني عليها ؛ فإن عجزتَ حفظتها لك . وأخذنا بيت المتنبي :
أهلاً بدار سبائك أغيدها^(٤) .

فقلت : يا نعمة لا تزال تجحدها ، ومينة لا تزال تكندها فقال : ما معنى تكندها ؟ فقلت : كند النعمة كفرها ، فرفع رأسه وقال : معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد ، فتلونا : (إن الإنسان لربه لكنود) . وقلت له : أليس الشرط أملك^(٥) ، والعهد بيني وبينك أن تسكت ونسكت ، كى تُم وتُم ، فنبد الأدب وراء ظهره ، وصار إلى السخف يكيّلنا بصاعه ومُدّه^(٦) ، فقلت : يا هذا إن الأدب غير سوء الأدب . ولو كان في باب الاستخفاف شيء أعظم من الاحتقار ،

(١) العيبة : وعاء من جلد . الظرف الأول : وعاء والثاني الكياسة .

(٢) ذكيت من التذكية وهي الذبح ، والغرض ريبه بعدم إصابة ما أراد ، وفي نسخي الرسائل : ذكيت بالزأى من التزكية بمعنى التعديل ضد التجريح وهذا يقتضى تشديد الراء في جرحت .

(٣) الخطة : بكسر الخاء الأرض التي يعلم عليها بالخط تتخذ للبناء ونحوه .

(٤) تمامه : ما بعد ما بان عنك خردهاه

(٥) مثل يضرب في حفظ الشرط مع الإخوان .

(٦) الصاع والمد كيلان ، والغرض أنه يسرف في سوء المعاملة .

وإنكار أبلغ من ترك الإنكار ، لبلغته منك . فأخذ يمضي على غلواته ، ويُعمن في هُرائه وهُدائه^(١) وقلت : أستغفر الله من مقالتك ، وسكت حتى عرف الناس أني أملك من نفسي ما لا يملكه ، وأسلك من طريق الحلم ما لا يسلكه ، ثم عطفت عليه فقلت : يا أبا بكر إن الحاضرين قد أعجبوا^(٢) من حلمي بأضعاف ما أعجبوا من علمي^(٣) . وتعجبوا من عقلي أكثر مما تعجبوا من فضلي وبقي الآن أن يعلموا أن هذا السكوت ليس عن عبيّ وأن تكلفي للسفّه أشد استمراراً من طبعك^(٤) ، وغرّبي في السخف أمتن عوداً من نَبَعك^(٥) ، فقال : أنا قد كسبت بهذا العقل دية^(٦) أهل هَمَسَدان مع قِلتِه ، فما الذي أفدت أنت بعقلك مع غزارته ؟ فقلت : هذا الذي به تتمدح من أنك شحذت فأخذت ، فهذا عندنا صفة ذم ، وقد صدقت . أنت بهذه الخلبية^(٧) أسبق ، وفي هذه الحرفة أعرق ، وأنا قريب العهد بهذه الصنعة ، حديث الورد لهذه الشرعة ، وما أضيع وقتاً قطعتهُ بذكرك ، ولساناً دنّسته باسمك ، وملت إلى القسّوال^(٨) ، فقلت : أسمعنا خيراً ، فغني آياتاً منها :

وشبّهنا بنفسجٍ عارضيه بقايا اللطم في الخلد الرقيقِ

فقال أبو بكر : أحسن ما في الأمر أني أحفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها . فقلت : إن أنشدتكها ساءك مسموعها ، ولم يسرّك مصنوعها ، فقال : أنشد ، فقلت : روايتي تخالف هذه الرواية ، وأنشدت :

وشبّهنا بنفسجٍ عارضيه بقايا الوشم في الخلد الصفيقِ

-
- (١) الهراء : الهزة والسخرية . الهذاء : التكلم بما لا يعقل لمرض ونحوه وهو الهذيان .
 (٢) كذا في الأصل . وفي نسختي الرسائل : عجبوا بدل أعجبوا .
 (٣) معنى الجملة أنني أستطيع أن أزيد عليك في السفه مع تكلفي له وانطباعك عليه .
 (٤) النبع : شجر صلب العود ينبت في قلال الجبال تتخذ منه القسي والسهام . والغرب نبت ضعيف ينبت على الأنهار قال المتنبي يدعو لسيف الدولة :
 فلا تنسلك الليالي إن أيديها إذا ضربين كسرن النبع بالغرب

ومعنى هذه الجملة كمنى السابقة .

- (٥) المراد بالدية جوائز أهل همدان وفيه استعارة رشح لها بلفظ العقل .
 (٦) كذا في نسخة الرسائل المطبوعة . وفي المخطوطة الجملة وفي الأصل : الجملة وكلاهما محرف .
 (٧) القسّوال : المغني .

فأنته السكته ، وأضجرته النكته^(١) ، وانطفأت تلك الوقدة ، وانحلت تلك العقدة ، ودُفع^(٢) القوال فبدأ بأبيات ، ولحن بأصوات ، وجعل النعاس يثنى الرعوس ، ويمنع الجلوس ، فقمنا إلى ما وطئ^(٣) من مضجع ، ومهد من مهجع ، ولم يكن النوم ملاً العيون ، ولا شغل الجفون ، حتى أقبل وقد الصباح ، وجعل المؤذن بالفلاح ، ونَدب إلى النهوض بالمفروض ، فلما قضينا الفرض ، فارقنا الأرض ، وظنى أن هذا الفاضل يأكل يده ندماً ، ويكي على ما جرى دمعاً ودماً ، وأنه إذا نام حاله منا طيف ، وإذا انتبه راعه منا سيف^(٤) ، وسعوا بيننا بالصلح ، وعرفنا له فضل السن ، فقصدناه معتردين إليه ، فأوما إيماء مهيفة^(٥) ، واهتز اهتزازة مغيضة^(٥) ؛ وأشار إشارة مريضة ، بكف سحبها على الهواء سحباً ، وبسطها في الجو بسطاً ، وعلمنا أن للمقهور أن يستخف ويستهن ، وللقاهر أن يحتمل ويلين ، فقلنا : إن بعد الكدر صفواً ، كما أن عقب المطر صحواً ، وعرض علينا الإقامة سحابة ذلك اليوم ، فاعتلنا بالصوم ، فلم يقبل العذر وألح ، فقلت : أنا وذاك^(٦) ، قطعنا عنده ، وخرجنا والنية على الجميل موفورة ، وبقعة الود معمورة ، وصرنا لا نتعلل إلا بمدحه ، ولا نتنقل إلا بذكره^(٧) ، ولا نعتد إلا بوده ، لا . بل ملأنا البلد شكراً ، والأسماع نشراً ، وبيننا نحن من الحال في أعذبها شربة ، ومن المقة في أطيبها جرعة ، ومن المودة في أعزها بقعة ، وأوسعها رقعة ، حتى طرأ علينا رسولان محتملان مقالته ، ومؤديان رسالته ، ذاكران أن أبا بكر يقول قد تواترت الأخبار ، وتظاهرت الآثار ، في أنك قهرت ، وأنى قهرت ،

(١) وجه النكته : أن الخوارزمي كان موثق الوجنة . كذا في هامش الأصل .

(٢) دفع القوال طلب منه أن يفتي .

(٣) يشير بهاتين الفقرتين إلى قول أشجع السلمي في الرشيد :

وعلى عدوك يابن عم محمد رصداً : ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبه رعته وإذا غفسا سلت عليه سيوفك الأحلام

(٤) مهيفة : من الهيص وهو الكسر يقال هاض العظم هيضاً وإسنادها إلى الإيماء مجاز كميشة

راضية .

(٥) مغيضة : ناقصة من غاض الماء إذا نقص أى احتفل به احتفالة ناقصة .

(٦) في نسخ الرسائل : أنت وذاك . وهو أحسن .

(٧) نتعلل : نشرب العليل وهو الشرب الثاني ومعنى لا نتعلل إلا بذكره : أننا إن أردنا التمتع

بحديث ذكرناه مرة وثانية، ومنتقل من النقل وهو ما يؤكل على الحمر من فستق ونحوه والمعنى شبيه بما سبق .

ولا شك أن ذلك التواتر عنك صدّرت أوائله ، والخبرُ إذا تواتر به النقل ، قبله العقل ، ولا بد أن نجتمع في مجلس بعض الرؤساء ، فنتناظر بمشهد الخاصة والعامّة ، فإنك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتي ، أو تُقَرَّ بعجزك وقصورك عن بلوغك أمدى . ومَنالَ يدي ، فقلت : هذا التواترُ ثمرةُ ذلك التناظر ، مع ذلك التساير ، فإن ساءك فأحزر أن يسوءك عند مجتمع الناس ، ومحتفل أول الفضل ، ولأن ترك الأمرِ مختلفاً فيه خير لك من أن يتفق عليه ، وإن أحببت أن تطير هذا الواقع ، وتبيح هذا الساكن ، فرأيك موفق * .

ثم مضت على ذلك أيام ، ونحن منتظرون لفاضل ينسَط لهذا الفصل ، وينظر بيننا بالعدل ، فاتفقت (١) الآراء على أن يُعقد هذا المجلسُ في دار أبي القاسم الوزير ، واستُدعيت ، فسرّحت الطرف من ذلك السيد في عالم أفرغ في عالم (٢) ، أو ملكك في درع ملكك ، ونطق فودت الأعضاء لو أنها أسماع مُصغية ، واستمع فودت الجوارح لو أنها ألسنة ناطقة ، وكنت أول من حضر ، وطلع الإمام أبو الطيب (٣) وهو بنفسه أمة ، ووحده عالم . ثم حضر السيد أبو الحسين ، وهو ابن الرسالة والإمامة ، وعامر أرض الوحي ، والمُحتبى بفناء النبوة ، وحضر بعد ذلك أبو عمر البِسْطامى ، وناهيك به من حاكم يفصل ، وناظر يعدل ، ثم حضر القاضي أبو نصر ، والأدب أدنى فضائله ، وأيسر فواضله ، وحضر الشيخ أبو سعيد محمد بن أرمك ، وهو الرجل الذى تحميه للأوّه ، ولأوذعيته من أن يُذال (٤) بمن ؟ أو ممن الرجل ؟ وحضر أبو القاسم بن حبيب ، والفقير أبو الهيثم ، ورائد الفضل يقدمهما ، وقائد العقل يخدمهما ، وحضر الشيخ أبو نصر المرزبان ، والفضل منه بدأ وإليه يعود ، وحضر بعده أصحاب الإمام أبي الطيب وأصحاب الأستاذ أبي الحسن الماسرّجسى (٥) ، وأصحاب الأستاذ أبي عمر

* في نسختي الرسائل : فرأيك موفقاً . وله وجه .

(١) في الأصل : فاتفقت وهو صحيح .

(٢) ينظر في هذا إلى قول أبي نواس :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

(٣) اسمه سهل الصعلوكى ويدل سياق الحديث على أنه من أفاضل وقته .

(٤) يذال : يهان بالسؤال عنه وعن قبيلته .

(٥) نسبة إلى مارمرجس موضع ببلاد العجم كما في تاج الدروس .

اليسطامى ، وهم فى الفضل كأسنان المشط ، ومنه بأعلى مَنَاطِ العِقْد ، وحضر الشيخ أبو سعيد الهمداني ، وله فى الفضل قِدْحُه المَعْلَى ، وفى الأدب حظه الأعلى ، ثم حضر أصحاب الأَسْبَلَة المُسَبَّلَة (١) ، والأَسْوَكَة (٢) المرُسلَة ، رجال يلعن بعضهم بعضاً ، فقلت : من هؤلاء ؟ فقالوا : أصحاب الخُوَارِزْمِي .

فلما أخذ المجلس زخرفه ممن حضر ، وانتظُر أبو بكر فتأخر ، اقترحوا على قوافي أثبتوها ، واقترحات كانوا بيتوها ، فما ظنك بالحلفاء أدنيت لها النار : من لفظ إلى المعنى نسقته ، وبيت إلى القافية سقته . على ريق لم أبلعه ، ونفَس لم أقطعه . وقال الإمام أبو الطيب لن نؤمن لك حتى تقترح القوافي ، ونُعِين المعاني ، وننص على بحر ، فإن قلت على الروى الذى أسومه ، وذكرت المعنى الذى أرومه ، فأنت حتى القلب كما عهدناك ، شجاع الطبع كما وجدناك ، فما خرجت من عهدَة هذا التكليف ، حتى ارتفعت الأصوات بالهيللة (٣) من جانب ، والحوقة (٤) من آخر . وتعجبوا إذ أرتهم الأيام ما لم تُرهم الأحلام . وجادهم العيان بما بَحَل (٥) به السماع ، وانجزهم الفهم ما أخلفهم الوهم ، ثم التفت فوجدت الأعناق تلتفت وما شعرت إلا بهذا الفاضل ، وقد طلع فى شَمَلته (٦) ، وهبَّ بجملته ، ومشى إلى فوق أعناق الناس يريد الصدر ، فقلت : يا أبا بكر تزحزح عن الصدر ، فقال لست برب الدار ، فتأمر على الزُّوَار (٧) ، فقلت : حضرت لتناظرني ، والمناظرة اشتقت إما من النظر ، وإما من النظر ، ومن حسن النظر أن يكون مقعداً واحداً ، حتى يتبين الفاضل من المفضول ، ثم يتناول السابق ، ويتقاصر المسبوق ، فقضت الجماعة بما قضيت .

ثم قلت : فى أى علم تريد أن نتناظر ؟ فأشار إلى النحو ، فقلت : إن شئت

(١) الأَسْبَلَة : جمع سبال والسبال جمع سبلة وهى ما على الذنق والشاربين من الشعر . المسبلة : المرسلَة والمراد أصحاب اللحن والشوارب الطويلة .

(٢) الأَسْوَكَة : جمع سواك .

(٣) الهيللة : حكاية لا إله إلا الله يقال هليل وهليل إذا حكى ذلك اللفظ الشريف .

(٤) الحوقلة : حكاية لا حول ولا قوة إلا بالله .

(٥) ساقطة من الأصل .

(٦) الشملة : كساء يشتمل به .

(٧) فتأمر على الزوار : تسيطر عليهم .

أن أناظرك فيه فلم ما كنت تدعيه ؛ من سرعة في البديهة ، وجودة في الروية ،
 وقدرة على الحفظ ، ونفاذ في الترسُّل ، فقال : لا أسلم ذلك ، ولا أناظر في غير
 هذا ، وارتفعت المضاجعة ، واستمرت الملاجة ، حتى قال له الأستاذ أبو عمر :
 أنت أديب خراسان ، وبهذه الأبواب التي قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك
 السبق ، وثناقلك عن مجاراته فيها مما يُوهِم ، واضطره إلى منازلة أو نزول عنها .
 فقال : سلّمتُ الحفظ ، فقلت : خفف الله عنك كما خففتَ عنا في الحفظ ،
 فلو سلمت البديهة مع الترسُّل ، حتى نفرغ للنحو والأمثال واللغة والعروض والأشعار
 فقال : ما كنت لأسلم الترسُّل ، ولا سلّمتُ الحفظ . فقلت : الراجع في قيسته (١)
 كالراجع في قيسته ؛ لكننا نُقِيلُكَ عن ذلك السّماح .

أُنشدنا خمسين بيتاً من قِبَلِكَ مرتين ، حتى أنشدك عشرين بيتاً من قبلي
 عشرين مرة ، فعلم أن من دون ذلك خسرُ القتاد (٢) ، فسلمه ثانياً ، كما سلمه
 بادياً . وصيرنا إلى البديهة ، فقال أحد الحاضرين هاتوا على شعر أبي الشَّيْبِصِ (٣)
 في قوله :

أبى الزمانُ به نُدوبِ عِضاضٍ ورَمَى سوادَ قُرُونِهِ بيباض (٤)

فبدأ أبو بكر مقدراً أنا نَغْفُلُ عن أنفاسه ، أو نُؤلِيهِ جانبَ وَسْوَاسِهِ ،
 ولم يعلم أنا نحفظ عليه الكلم ، فقال :

يا قاضيماً ما مثله من قاض
 أنا بالذي تقضى علينا راض
 فلقد لبست ضفيرةً ملمومةً
 من نسج ذاك البارِقِ الفَضْفَاضِ
 لا تغضبن إذا نظمتُ تنفساً
 إن الغضى في مثل ذاك تغاضِ
 فلقد بليتُ بشاعرٍ متقادرٍ
 ولقد بليت بناب ذيب غاضِ

(١) كذا في لأصل . وفي نسخي الرسائل : في شيئه وهو كالمثل لكل من رجع في شيء أعطاه .

(٢) القتاد : شجر صلب له شوكة كالإبرة . وخرطه : إمرار اليد عليه لانتزاعه وهو مثل يضرب
 لكل ما يكون في إتيانه صعوبة .

(٣) هو محمد بن رزين عم دعلج الخزازي من شعراء الدولة العباسية .

(٤) الندوب : جمع نذب وهو أثر الجرح بعد برثه . العضاض : العَضُ والمراد به شدة العيش
 على المجاز .

ولقد قرضت الشعر فاسمع واستمع لنشيد شعر طائعا وقراض
فلاغلبن بديهةً بديهتي ولآرمين سواده بياض

فقلت ما معنى ضفية ملمومة ؟ وما الذى أردت بالبارق الضففاض ؟ فأنكر أن يكون قاله قافية . فقالوا له : قد قلت . ثم قلتُ ما معنى قولك ذيب غاض ؟ فقال هو الذى يأكل الغضى^(١) قلت : استنوق الحمل^(٢) ، وصار الذئب جملا يأكل الغضى . فما معنى أن الغضى فى مثل ذلك تغاض ، فإن الغضى لا أعرفه بمعنى الإغضاء فقال لم أقل الغضى ، وأنكر البيت جملة فقلت : ما أغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك ، وتبرأ منه وهو يلحق بك . فمامعنى قراض فلم أسمعه مصدراً من قرضت الشعر . ثم دخل الرئيس أبو جعفر ، والقاضى أبو بكر ، والشيخ أبو زكريا الحيرى ، وطبقة من الأفاضل وأخذ الرئيس مكانه من الصدر ، وقال : قد ادعيت عليه آياتاً أنكرها فدعوتنى من البديهية على النفس واكتبوا ما تقولون فقلت :

برز الربيعُ لنا برَونقُ مائه	فانظر لِرِوعةِ أرضه وسائه
فالتربُ بينُ ممسكٍ ومعتبرٍ	من نوره بل مائه وروائه ^(٣)
والماء بين مُصنَدلٍ ومُكفّرٍ	فى حُسنِ كُدْرته ولونِ صفائه ^(٤)
والطيرُ مثلُ المُحصَناتِ صِوادِحٍ	مثلُ المغنى شادياً بعنائه ^(٥)
والوردُ ليس بِمُمسِكِ رِياهِ بل	يُهدى لنا نَفحاته من مائه ^(٦)
زمنَ الربيعِ جَلبتِ أركى متَجري	وجلوت للرائينِ خيرَ جِلائه

(١) الغضى : شجر ناره قوية يقول الشاعر :

فسق الغضى والساكنيه وإن هو شبهه بين جوانحي وضلوعى

(٢) مثل يضرب للرجل يكون فى حديث ثم يخلطه بغيره ويتنقل إليه بلا مناسبة .

(٣) المسك : المطيب بالمسك : المعتبر : المطيب بالعنبر . النور : الزهر . الرواء : الحسن

(٤) مصنَدل : مشبه بالصنَدل وملون بلونه وهو خشب أحمر أو أبيض لكن المراد به هنا ما كان

قليل الحمرة لوصفه بالكدره . المكفر : المشبه والملون بلون الكافور فى بياضه .

(٥) المحصنات : جمع محصنة وهى العفيفة وقد شبه الطير بالمحصنات فى الخدور ثم بالمغنى فى ترجيع

الصوت يريد أنه إذا جاء الربيع كانت شواذى الأطيوار تحت ورق الأشجار فيكن كأنهن المخدرات تحت

الأستار . الأصل : مثل المغنى شادياً بعنائه . تحريف .

(٦) فى نسختى الرسائل : إذ . مكان بل .

فكأنه هذا الرئيس إذا بدا في خَلْقِهِ وصفاته وعطائه (١)
 ما البحرُ في تزخاره والغيث في إِمطاره والجو في أنوائه (٢)
 بأجلٍ منه رغائباً ومواهباً لا زال هذا المجد حِلْفَ قَبائِه (٣)
 والسادة الباقون سادةُ عصرهم متمدِّحون بمدحه وثنائه

وقال أبو بكر تسعة أبيات رددتها عليه ، وقلت لمن حضر رأيتم لو أن رجلاً حلف بالطلاق لا يُنشد شعراً قط وأنشد هذه الأبيات فقط ، هل تَطَلَّقَ امرأته ؟ فقالت الجماعة لا يقع بهذا طلاق . ثم قلت انقُذْ عليّ كما نقذت ، واحكم عليه (٤) كما حكمت . فانتقد ما انتقد ، وكفتني الجماعة جوابه . وقالوا: قد علمنا أي الرجلين أشعر ؟ وأي الخصمين أقدر .

ثم ملنا إلى الترسل فقلت : اقترح على غاية ما في طَوْقِكَ ، ونهاية ما في وَسْعِكَ ، حتى أقترح عليك أربع مئة صنف في الترسل ، فإن سرتَ فيها برجلين ، ولم أطرُ بجنّاحين ، فلك يدُ السبق ، ومثال ذلك أن أقول لك : اكتب كتاباً يقرأ منه جوابه هل يمكنك أن تكتب ؟ أو أقول لك اكتب كتاباً في المعنى الذي أقول ، وأنص عليه ، وأنشد من القصائد ما أريده من غير تناقل ، ولا تغافل حتى إذا كتبت ذلك قرئ من آخره إلى أوله ، وانتظمت معانيه إذا قرئ من أسفله ، هل كنت تُفَوِّقُ (٥) لهذا الغرض سهماً ، أو تُجِيلُ قِدْحاً (٦) ، أو تصيب نُجْحاً ؟ أو قلتُ لك اكتب كتاباً إذا قرئ من أوله إلى آخره كان كتاباً ؛ وإذا عكستُ سطورهُ مُخالِفةً كان جواباً ، أو قلتُ لك اكتب كتاباً في المعنى الذي يُقْتَرَحُ لا يوجد فيه حرف منفصل . من راء تتقدم الكلمة (٧) بديهة ، هل

(١) الأصل : الربيع مكان الرئيس ولا معنى لها .

(٢) التزخار : مصدر زخر بمعنى طما وارتفع . الأنواء : النجوم . وأراد بالغيث السحاب .

(٣) القباء : الثوب . في نسختي الرسائل : فئانه .

(٤) احكم عليه : الضمير يعود إلى الشعر .

(٥) تفويق السهم : تصويبه إلى جهة الهدف .

(٦) القدح : بكر القاف أحد سهام الميسر وإجالتة خلطه في جملة سهام قبل استخراجها

والمراد المشاركة .

(٧) في نسختي الرسائل : « في المعنى الذي يقترح ولا يوجد فيه حرف منفصل من راء يتقدم

الكلمة أو دال ينفصل عن الكلمة » والمراد أن يكون ما يأتي به متصل الحروف لا يكون فيه راء أولى ولا دال

أخيرة في الكلمة ولا نحوها .

كنت تفعل ؟ أو قلت لك اكتب كتاباً خالياً من الألف واللام هل كنت تقف من ذلك موقفاً محموداً ؟ أو قلت لك اكتب كتاباً يخلو من الحروف العواطل^(١) ، هل كنت تتحظى منه بطائل ؟ أو تبسل^(٢) لئها تلك بناطل^(٣) ؟ أو قلت لك اكتب كتاباً أوائل سطورِه كلها ميم^(٤) وآخرها جيم ، على المعنى الذى يقترح هل كنت تغلو في قوسه غلوة^(٥) ؟ أو تخطو في أرضه خطوبة ؟ أو قلت لك : اكتب كتاباً إذا قرئ مُعرجاً وسُرد مُعوجاً كان شعراً هل كنت تُقطع في ذلك شعراً^(٦) ؟ بلى والله تصيب ولكن من بدنك . وتقطع ولكن من ذقنك . أو أقول لك : اكتب كتاباً إذا فُسر على وجه كان مدحاً ، وإذا فسر على وجه آخر كان قَدْحاً ، هل كنت تخرج عن هذه العُهدة^(٧) ؟ أو أقول لك : اكتب كتاباً تكون حفيظته من قبل أن لحظته ، هل كنت تثق من نفسك به إلى ما أطاولك بعد^(٨) ؟ لا . بلى « است البائن أعلم^(٩) . . »

فقال أبو بكر هذه الأبواب شعبة^(١٠) . فقلت : وهذا القول طرمة^(١١) . فما الذى تحسن أنت من الكتابة وفنونها حتى أباحثك على مكنونها ، وأكثرك بمخزونها ، وأشبر^(١٢) قلمك ، وأسبر^(١٣) فيها لسانك وفكك ؟ فقال الكتابة

-
- (١) العواطل : الحروف الخالية من النقط .
 (٢) الناطل : الجرعة من الماء واللبن والنبيد والفضلة تبقى في المكياال . وفي هامش الرسائل المخطوطة : الناطل كوز يكال به الخمر .
 (٣) الغلوة : مسافة رى السهم . غلا الرامى بالسهم : رفع يديه لأقصى الغاية .
 (٤) يريد بتقطيع الشعر نظمه وقرضه .
 (٥) العهدة : ما يتمهد به إنسان ، وخروجه عنه : وفاؤه به .
 (٦) في نسختي الرسائل : إلى ما لا أطاولك بعده ، ومعنى المطاولة المد في الأجل وإطالة الفرصة ليستطيع الإتيان بما يقترح عليه .
 (٧) هذا مثل يضرب لمن كان أدرى بالشيء . البائن : الذى يحلب الناقة من جهة شهاها وهو أحد اثنين يشتركان في حلبها . راجع جمهرة الأمثال لأبى هلال على هامش الميدانى ص ٩٥ ، ٩٦ .
 (٨) الشعبة : الشعوذة وهى خفة في اليد وعمل كالسحر يرى الشيء يغير ما هو عليه .
 (٩) الطرمة : فعل المطرمد وهو الذى يقول ولا فعل عنده أو لا يحقق في الأمور وطرمد عليه فخر وتكبر .
 (١٠) الشبر : قياس الشيء بالشبر .
 (١١) السبر : امتحان غور الجرح وغيره .

التي يتعاطاها أهل الزمان المتعارفة بين الناس . فقلت : أليس لا تحسن من الكتابة سوى هذه الطريقة الساذجة . وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم ، المتناول بكل لسان وفم ، ولا تحسن هذه الشعبة ؟ فقال : نعم . فقلت : هات الآن حتى أطاولك بهذا الجبل . وأناضلك بهذا النبل ، ثم تقاس ألفاظي بألفاظك ، ويعارض إنشائي بإنشائك . واقترح كتاب^(١) يكتب في النقود وفسادها ، والتجارات ووقوفها ، والبضاعات وانقطاعها . والأسعار وغلائها . فكتب أبو بكر : الدرهم والدينار ثمن الدنيا والآخرة ، بهما يتوصل إلى جنات النعيم ويُخلد في نار الجحيم ، قال الله تبارك وتعالى : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها وصل عليهم) . وقد بلغنا من فساد النقود ما أكبرناه أشدّ الإكبار . وأنكرناه أعظم الإنكار ؛ لما نراه من الصلاح للعباد ونوويه من الخير للبلاد . وتعرّفنا في ذلك ما يُربح للناس في الزرع والضرع . ويعود^(٢) إليه أمر الضر والنفع . . . إلى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت : إن الإكبار والإنكار والعباد والبلاد وجنات النعم ونار الجحيم والزرع والضرع أسجاع قد ثبتت في المعد^(٣) ، ولم تزل في اليد . وقد كتبت وكتبت . ولا أطالبك بمثل ما أنشأت ، وناولته الرقعة فبقي وبقيت الجماعة ، وبُهِتَ وبُهِتَت الكفاة ، وقالوا لي اقرأه فجعلت أقرؤه واسرّده معكوساً . وكان ما أنشأناه :

الله شاء إن المحاضرِ صلور بها ، وتملأ المناير ظهورها ، وتفرع الدفاتر وجوه بها ، وتمشق الحابر بطون لها ترشق آثاراً كانت فيه آمالنا مقتضى على أياديه في تأييده الله أدام الأمير جرى فإذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدين أهل عن الكسل هذا يحطّ أن في إليه نتضرع ونحن واقفة والتجارات زائفة ، والنقود صيارفة ؛ أجمع الناس صار فقد كرمياً نظراً لينظر شيمه مَصَابَ وانتجعنا كرمه بارقة وشمنا هممه على آمالنا رقاب ، وعلّقنا أحوالنا وجوه له ،

(١) كذا في نسختي الرسائل . وفي الأصل « واقترح كتابا » ولا يدري من المقترح .

(٢) كذا في نسختي الرسائل . وفي الأصل : « ويقدم من » ولا معنى له .

(٣) كذا في الأصل . وفي نسختي الرسائل : « نبتت في المعد » والمعد جمع معدة وهي محل الطعام

والشراب من الإنسان ومعنى نباتها فيها حصولها بلا عمل وهي كالطعام والشراب كل أحد ينطق بها فهي متداولة بكل لسان ، ومتداولة بكل قلم فليس لمن يأتي بها كبير فضل (عن شرح الأحدث للرسائل ص ٧٦ ، ٧٨) .

وكشفنا آمالنا وفوداً إليه بعثنا فقد نظره بجميل يتداركنا أن ونعماه تأييده وأدام بقاء الله أطلّ الجليل الأمير رأى إن^(١) .

وصلى الله على محمد وآله الأخيار .

فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر أحد الخَصَمِين^(٢) ، فلنا إلى اللغة ، فقلت : خذ غريب المصنّف إن شئت وإصلاح المنطق إن أردت ، وأنماظ ابن السيكتيّ إن نَشِطت ، ومجمل اللغة إن اخترت ، وأدب الكُتّاب^(٣) إن أردت ، واقترح على أي باب شئت من هذه الكتب حتى أجعله لك نقداً^(٤) ، وأسردّه سرداً ، فقال اقرأ من غريب المصنّف فقرأت الباب الذي أرادته ولم أتردد فيه ، وأتيت على الباب الذي يليه . ثم قلت اقترح غيره ، فقالوا كفى ذلك فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من فصيح الكلام . فوقف حمارة ، وخمدت ناره^(٥) . وقال الناس اللغة مُسَلِّمةٌ لك أيضاً ، فهاتوا غيره . فقلت يا أبا بكر هات العروض ؛ فهو أحد أبواب الأدب ، وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعملتها وزحافها فقلت : هات الآن فاسردّه كما سردت . وضجّر الناس وتقوَّض المجلس .

هذا ملخص ما جرى بينهما^(٦) .

* * *

(١) هدم الرسالة تقرأ معكوسة من آخرها إلى أولها فتستقيم أما إذا قرئت من أولها وعلى صورتها هذه فإنها لا تستقيم ، وقد تقدم أن البديع كان في مقدوره أن ينشئ الرسالة تقترح عليه على هذه الصورة .

(٢) يريد به الخوارزمي .

(٣) كذا في الأصل . وفي نسختي الرسائل : « أدب الكاتب » وهو أشهر .

(٤) نقداً : أي أنقده لك نقداً وأعد ألفاظه بدون تردد كما تعد النقود .

(٥) وقف حمارة : كناية عن دهشته وحيرته بما رآه وعدم قدرته على الجواب . خمدت ناره : انطفأت .

والمراد أنه سكن ما عنده وتلاشى .

(٦) خلت نسخ الصحيح المخطوطة التي بأيدينا من هذه المناظرة إلا النسخة المحفوظة بالخرانة التيمورية

رقم ٢٠٤٦ ، وتاريخ كتابتها سنة ١٠٥٤ أي في حياة المؤلف ، وهذا يدل على أن المؤلف قصد إلى وضع هذه المناظرة في تأليفه ، ولعل خلو النسخ الأخرى منها راجع إلى أن المؤلف قد أنبأ في مسودته ، ثم عرض له أن يحذفها عند التبييض ، وقد يكون الأمر على العكس من ذلك .

ثم إن المؤلف لم يذكر هذه المناظرة بنصها الكامل الذي ورد في نسختي الرسائل المطبوعة والمخطوطة وإنما عمل فيها قلمه اختصاراً وتلخيصاً ، فذهب ذلك بشيء من رونقها ، واتساق فكرتها ، على أن الاعتماد على هذه المناظرة في الموازنة بين الكاتبين فيه إجحاف بالخوارزمي لأنها من رواية أحد الخصمين (البديع) ، =

قال أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللاذقي^(١) : قدم أبو الطيب المتنبي اللاذقية^(٢) في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو كما عذر^(٣) وله وقرة إلى شحمي أذنيه^(٤) فأكرمتُه وعظمتُه لما رأيتُه من فصاحته وحسن سمته^(٥) . فلما تمكن الأنس بيني وبينه ، وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته ، واقتباساً من أدبه ، قلت : والله إنك لشاب خطير تصلح لمنادمة ملك كبير .

فقال : ويحك أتدرى ما تقول ؟ أنا نبي مرسل ! فظننت أنه يهزل ، ثم تذكرت أني لم أسمع منه كلمة هزل قط منذ عرفته ، فقلت له : ما تقول ؟ فقال : أنا نبي مرسل . فقلت له : مرسل إلى من ؟ فقال : إلى هذه الأمة الضالة المضلّة . قلت : تفعل ماذا ؟ قال : املأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً . قلت : بماذا ؟ قال بإدراك الأرزاق والثواب العاجل لمن أطاع وأتى ، وضرب الرقاب لمن عصا وأبى . فقلت له : إن هذا أمر عظيم أخاف [منه عليك]^(٦) وعذلتُه على ذلك فقال بديهة :

أبا عبد الإله معاذُ إني خفيّ عنك في الهيجا مقامي
ذكرتَ جسيم ما طلبي وأنا نأ نخاطر فيه بالمهيج الجسام^(٧)
أمشلي تأخذُ النكباتُ منه ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمانُ إلى شخصاً لخصّص شعراً مفرقه حسامي

== ولما تدل عليه هذه الرواية من ميل شهودها إلى البديع فإذا أضفنا إلى ذلك ما كان من شيخوخة الخوارزمي وشباب البديع لم يبق للتمويل على هذه المناظرة محل .

(١) لم نعر له على ترجمة ولكننا رأينا المتنبي يقول فيه :

معاذ ملاذ لزواره ولا جبار أكرم من جاره
كان الحطيم على يابه وزمزم والبيت في داره
وكم من حريق رأت داره فلم يعمل الماء في ناره

ويظهر من مدح المتنبي إياه أنه أحد كرام مدوحيه .

(٢) اللاذقية : بلد من أعمال حلب إذ ذاك .

(٣) كذا في جميع النسخ وقد محيت الكاف وبق أثرها في (هـ) والمراد أنه ما كاد ينبت عذاره .
والعذار : الشعر النابت على جانبي اللحية .

(٤) الوفرة : ما سال من الشعر على الأذنين . شحمة الأذن : مكان تعليق القرط .

(٥) سمته : هيئته .

(٦) كذا في جميع النسخ ما عدا (ا) وفيها : أخاف منك عليه تحريف .

(٧) جسيم ما طلبي : ما زائدة بين المضاف والمضاف إليه .

وما بلغت مَشِيَّتَهَا اللَّيَالِي وَلَا سَارَتْ فِي يَدِهَا زِمَامِي (١)
 إِذَا امْتَلَأَتْ عَيْنُ الْحَيْلِ مِنِّي فَوَيْلٌ فِي التِّيْقِظِ وَالْمَنَامِ

فقلت: ذكرت أنك مُرْسِلٌ (٢) إلى هذه الأمة أفيُوحَى إليك؟ قال: نعم.
 قلت: فأتلُّ على شَيْئًا مما أُوحَى إليك، فأتاني بكلام ما مر بسمعي أحسنُ منه،
 فقلت: وكم أُوحى إليك من هذا؟ فقال: مئة عِبْرَةٍ وأربعَ عَشْرَةَ عِبْرَةَ قُلْتُ:
 وكم العِبْرَةَ؟ فأتني بمقدار أكبر الآي من كتاب الله (٣) تعالى. قلت: في كم
 مدة أُوحى إليك؟ قال: جملة واحدة. قلت أسمع في هذه العِبْرَات أن لك طاعةً
 في السماء، فما هي؟ قال: أحبس المِدرارَ لقطع أرزاق العصاة والنُّسُجَار، قلت:
 أتحبس في السماء مَطَرَهَا؟ قال: إي والذي فَطَرَهَا! أمأ هي معجزة؟ قلت:
 بلى والله! قال فإن حبستُ المطر عن مكان تنظر إليه ولا تشك فيه، هل تؤمن بي
 وتصدقني على ما أوتيت (٤) من ربي؟ قلت: إي والله قال سأفعل، ولا تسألني عن
 شيء بعدها حتى آتيك بهذه المعجزة، ولا تُظْهر شيئاً من هذا الأمر حتى
 يظهر، وانتظر ما وعدتَه من غير أن تسأله. ثم قال لي بعد أيام أتحب أن
 تنظر المعجزة التي جرى ذكرها قلت: إي والله، فقال لي: إذا أرسلتُ إليك هذا
 العبد فاركب معه، ولا تتأخر، ولا تخرج معك أحداً. قلت: نعم. فلما كان
 بعد أيام تغيمت السماء في يوم من أيام الشتاء، وإذا عبده قد أقبل، فقال:
 يقول لك مولاي اركب للموعد، فبادرت إلى الركوب معه، وقلت أين ركب
 مولاك؟ قال إلى الصحراء، واشتدَّ وقعُ المطر، فقال: بادر بنا حتى نَسْتَرَّ من
 هذا المطر مع مولاي، فإنه ينتظرنا بأعلى تلٍّ لا يصبه فيه المطر. قلت وكيف
 عمل؟ قال أقبل إلى السماء أول ما بدا السحاب الأسود، وهو يتكلم بما لا أفهم
 ثم أخذ السوط، فأدار به في موضع ستنظر إليه، وإذا هو على تلٍّ بعيد عن البلد
 نصف فرسخ، فأتيته فإذا هو على التلِّ، ولم يصبه من ذلك المطر شيء، وقد

(١) هذا البيت انفرد بروايته الأصل.

(٢) كذا في ا، ب. وفي ح، د، هـ: ذي مرسل.

(٣) كذا في ا، ب. وفي ح، د، هـ: من القرآن.

(٤) كذا في ا وفي ب، ح، د: أتيت به (مبنيًا للمعلوم) وفي هـ: أوتيت به. بالبناء للمجهول.

خضت في الماء إلى رُكبة الفرس ، والمطرُ في أشد ما يكون ، ونظرتُ إلى نحو مثنى ذراع في مثلها من ذلك التل ما فيه قطرة مطر ، فسلمت عليه ، فردتُ على السلام . فقلت : ابسط يديك أشهد أنك رسول الله . . . فبسط يده فبايعته بيعة الإقرار بنبوته ثم قال :

انظر كيف
أصل الرجل

أىَّ محل أرتقى ؟ أىَّ عظم أتقى ؟
وكلُّ ما قد خلق الله وما لم يخلق ...
مُحتقِرٌ في همتي كشعرة في مَفْرِقِي !...

* * *

وأخذت بيعته لأهلي ، ثم صح بعد ذلك أن البيعة عمت كلَّ مدينة في الشام ، وذلك بأصغر حيلة تعلمها من بعض العرب وهي صدحةُ المطر (١) يَصْرِفُه بها عن أى مكان أحب بعد أن يُحَوِّى بعضاً (٢) ، وينفث في الصدحة التي لهم * . قال أبو عبد الله : وقد رأيت كثيراً منهم بالسكون وحضرموت والسكاسك من اليمن يفعلون هذا ، ولا يتعاضمون ، حتى إن أحدهم يصدح عن غنمه وإبله . وعن القرية فلا يصيبها شيء من المطر ، وهو ضرب من السحر . وسألت المتنبى بعد ذلك هل دخلت السكون ؟ قال : نعم أما سمعت قولي من قصيدتي التي أولها (٣)
مِلِّتُ القَطْرَ أعْطَشْتُهَا رُبُوعاً وإلا فاسقِها السَّمَّ النقيعاً (٤)

كيف عمت
بيعته

(١) كذا في ١ . وفي ب ، ج ، هـ : وقد صدحه . تحريف . والصدحة : رقية تزعم العرب أنها تمنع المطر أن يصيب مكاناً وقد أصاب كل ما حوله من الأرض .

(٢) والتحوية بالعصا : إدارتها في الهواء .

* روى هذه القصة هو أبو عبد الله معاذ بن إسماعيل اللادقي ، وفيه وفي قصته يقول العكبري - ص ٢٤ طبعة الحلبي : ذكر (يريد معاذاً هذا) أن أبا الطيب قدم عليه باللادقية سنة ٣٢٦ وأنه ادعى النبوة وذكر عنه حكاية قبيحة وأنه كان يعلم طرفاً من السيمياء وما استجزت أن أذكرها . وكان صاحب شرح التبيان يردد هذه الخرافة عن أبي الطيب كما ردها غيره من المحققين .

(٣) من قصيدتي التي أولها « ساقطة من - ، د ، هـ .

(٤) الملك : الدائم المقيم . النقيع : المنقوع ، والمراد به : الميت . يقول : يأبها السحاب الدائم المطر ، أعطش هذه الربوع ، وإن سقيتها فاسقها السم بدل الماء . وقد نقد بعض الشراح هذا البيت بأن العرب لم يعتادوا الدعاء على الديار ، وإنما اعتادوا الدعاء لها . ولا عيب على أبي الطيب في هذا ، لأنه إنما يعبر عن ديار أساء إليه أهلها ، ولم تحسن إقامته بينهم ، لكن الذي يؤخذ أن يخاطب مدوحه في أول بيت من القصيدة بهذا المطلع . وما أشبهه في هذا بمطلعه في مدح كافور :

* كفى بك داء أن ترى الموت شافياً *

أَمْنَسِيَّ السَّكُونِ وَحَضْرَمُوتًا وَالذَّقِي وَكِنْدَةَ وَالسَّبِيحَا
فقلت : من ثم استفاد ما جوزته على طعام^(١) أهل الشام^(٢) .

* * *

ومن كلامه الذي كان يزعم أنه قرآن أنزل عليه :

« والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، إن الكافر لني أخطار
امض على سننك ، واقف أثر من كان قبلك من المرسلين ؛ فإن الله قانع بك
زبغ من ألتد في الدين ، وضل عن السبيل » .

ادعاء المنتجب أن
الأرض تطوى
لـ

وما كان يمحرق^(٣) به على أهل البادية أنه كان مشاء قوياً على السير ، يسير
سيراً لا غاية بعده ، وكان عارفاً بالفلاوات ، ومواقع المياه ، ومحال العرب بها .
وكان يسير من حلة إلى حلة^(٤) بالبادية ، وبينهما مسيرة أربعة أيام ، ، فيأتي
ماء ، فيغسل وجهه ويديه ورجليه ، ثم يأتي أهل هذه الحلة فيخبرهم عما حدث في
تلك الحلة التي فارقتها ويوهم أن الأرض تطوى له .

وسئل في تلك الأيام عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال : أخبر بنبوتى حيث
قال : أنا لا^(٥) نبي بعدى وأنا اسمى في السماء (لا) .

وعلى ذكر قرآن المنتجب نذكر ما قيل من أن أبا الملاء المعري عارض القرآن
بكتاب وعنوانه « بالفصول والغايات في مجارة السور والآيات »^(٦) فقيل له : ما هذا
إلا جيد إلا أنه ليس عليه طلاوة القرآن . فقال : حتى تصقله الألسن في المحاريب
أربعمائة سنة . وعند ذلك انظروا كيف يكون .

من قرآن أبي
العلاء عن
الفصول
والغايات الذي
يقال إن
أبا العلاء عارض
به القرآن

(١) الطعام : أوغاد الناس . الواحد والجمع فيه سواء .

(٢) على أن رواية أبي معاذ هذا لا تثبت أمام النقد : إذ كيف يأخذ البيعة لنفسه ولأهله ، ثم
يذكر بعد ذلك أن ما فعله المنتجب كان بأصغر حيلة تعلمها من العرب . اللهم إلا أن يكون أبو معاذ يجارى
المنتجب في سخافاته تماجناً وتطرفاً ، ويشهد لذلك قوله في آخر الخبر : من ثم استفاد ما جوزته على طعام
أهل الشام .

(٣) يمحرق : يكذب في خداع .

(٤) الحلة : جماعة من البيوت متقاربة (شبه القرية في مصر) .

(٥) أنا : ساقطة من ج ، د ، هـ وعلى هذا تكون « لا » مبتدأ ونبي خبر .

(٦) عرف بهذا الكتاب الدكتور طه حسين في كتابه : « مع أبي العلاء في صحبته » فانظره .

قال البخارزى فى الدُّمِيَّة (١) : أبو العلاء أحمدُ بن عبد الله بن سليمان المعرى التنوخى ضريرٌ ماله فى أنواع الأدب ضرب ، ومكفوف فى قميص الفضل ملفوف ، ومحجوب خصمه الألدَّ محجوج ، وقد طال فى ظلال الإسلام آناؤه ، لكن ربما يترشح (٢) بالإلحاد إناؤه ؛ وعندنا خبر بصره ، والله أعلم ببصيرته ، والمطلع على سيرته ، وإنما تحدثت الألسن بإساءته لكتابه الذى زعموا أنه عارض به القرآن وعنوانه بالفصول والغايات ، ومجازاة السور والآيات ، وأظهر من نفسه تلك الخيانة وجدَّ تلك المَوسُسات كما تَجدِّ العير الصلَّيَّانة (٣) حتى قال القاضى أبو جعفر (٤) :

كَلْبٌ عَوَى بِمَعْرَةَ النِّعْمَانِ لَمَّا خَلَا عَنِ رِبْقَةِ (٥) الْإِيمَانِ
أَمْعَرَةَ النِّعْمَانِ (٦) مَا أَنْجَبَتْ إِذْ أَخْرَجَتْ مِنْكَ مَسْعَرَةَ الْعُمَيْانِ

ومما ظهر من قرآن أبى العلاء : « أقسم بخالق الخليل ، والريح الهابة لبلى بين الشَّرَطِ (٧) ومطالع سُهَيْل ، إن الكافر لطويل الويل ، وإن العُسرَ لمكفوفُ الذليل ، اتق مدارج السَّيْلِ ، وطالع التوبة من قُبَيْل تنجُ وما إخالك بناج (٨) » .

(١) هو أبو الحسن على بن الحسن بن على بن أبى الطيب البخارزى الشاعر . وصفه صاحب الوفيات بالتفوق فى نثره ونظمه . وهو صاحب دمية العصر وعصرة أهل العصر ، وهو ذيل لتيمة الدهر للشعالبى . وقد قتل بباخرز وهى من فواحي نيسابور سنة ٤٦٧ هـ .

(٢) كذا فى جميع النسخ . تحريف . والصواب رشح بمعنى : سال ماؤه . وهذا هو المعنى المناسب . أما ترشح ، فمناها تربي وتبها ، وليس بمناسب فى هذا المقام . ويؤيد هذا أنها رويت (ربما رشح) فى كتابى : الوافى بالوفيات للصفدى ، وإنباء الرواة على أنباء النحاة للقفطى ؛ وهنما نقل ذلك كتاب « تعريف القدماء بأبى العلاء » .

(٣) المراد أنه اقتطع تلك المعانى التى ضمنها الفصول والغايات من الديانات القديمة التى قرأها ومن كتب الفلاسفة ، كما يقتطع العير الصلبيانة ، وهى ضرب من الشجر يشبت صعدا وأصخمه أعجازه وأصوله . والعير إذا كدمها يفىه اجتمها من أصلها .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن إسحاق بن على البخاى الزوزنى ، نسبة إلى البخاى أحد أجداده . توفى سنة ٤٥٣ هـ .

(٥) الربقة : العروة ، من الربق ، وهو جبل فيه عدة عرا تشد به البهم . والتعبير مجاز الغرض منه الخروج عن الدين وفى الحديث : خلع ربقة الإسلام من عنقه .

(٦) معرة النعمان : مدينة قديمة فى أعالي حلب ، وادها أبو العلاء .

(٧) الشرط بفتحين : واحد الشرطين ، وهما نجان من برج الحمل .

(٨) هذا القدر من قرآن أبى العلاء الذى يزعمون أنه عارض به القرآن رأيناه فى الجزء المطبوع من =

قال ابن سنان^(١) : وهذا الكتاب إذا تأمله العاقل علم أنه بعيد عن المعارضة ، وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة ، وقد وضعه على حروف المعجم ، ففي كل حرف فصول وغايات ، فالغاية مثل قوله بناج ، والفصل ما يتقدم الغاية ، فيذكر فصلاً يتضمن التمجيد والمواعظ ، ويختمه بالغاية على حروف المعجم مثل

= «الفصول والغايات» بصورة أطول ، وشرح لغوى مفصل ، ص ٢٥٣ ، ٢٥٤ فؤلف الصبح قد اختصر منه هذا القدر .

(١) هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي شاعر أديب ، ولى قلعة من قلاع حلب من قبل الملك محمود بن صالح ، لكنه شق بها عصا الطاعة ، فاحتال عليه الملك حتى سبه ، فات سنة ٤٦٦ هـ .

ومن رأى أن كتاب الفصول والغايات معارضة للقرآن ابن الجوزي ، كبعض القدماء قال : قد رأيت للمعري كتاباً سماه الفصول والغايات ، يعارض به السور والآيات وهو كلام في نهاية الركة والبرودة .

ونحن نرى رأى ابن سنان ، وننقل هنا تأييداً لهذا الرأى :

أولاً : ما كتبه ناشر الجزء المطبوع من هذا الكتاب ، إذ يقول : «ومن غرائب كتبه وفوادرها كتاب الفصول والغايات ، وقد كان هذا الكتاب مفقوداً حتى إن أكثر من ترجم لأبي العلاء لم يذكره ، أما من ذكره منهم فادعى أنه عارض به القرآن الكريم ، وأحسب أن من ذكر ذلك لم ير الكتاب ، على أن بعض من نقل منه جملاً نقلها مشوهة فكانه سمعها من غيره ، ولم ينقل نصها منه .

والغرض الذى حدا بأبي العلاء إلى إملاء هذا الكتاب بثه للطلبة ما وعاه صدره من فوادر العلم وغرائبه ، وقد تخير لذلك أحسن مظهر يظهره فيه ، وهو تمجيد الله والمواعظ ، ليكون ذلك أقرب إلى النفوس ، وفيه مشوية وقربى .

أما القول بأنه قصد مجازاة القرآن أو معارضته فذلك من قول حساده ، وكيف يريد ذلك ، وهو يمجّد الله أحسن تمجيد وأروع ، ويقر له بالعبودية والمعجز ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، على أن فى الكتاب نفسه ما يدحض هذه المفترقات كلها حيث يقول من فصل غايته باء : علم ربنا ما علم ، أنى ألقت الكلم ، أمل رضاه المسلم ، واتقى سمخه المؤلم ، فهب لى ما أبلغ به رضاك من الكلم والمعاني الغراب .

ثم يقر : ناشر الكتاب : وما وصل إلينا من هذا الكتاب هو الجزء الأول بيتئدىء من أثناء حرف الهمة ، وينتهى بحرف الخاء ، وقد بحثت عن باقى الكتاب فى كل المظان ، فلم أجده له من أثر .

ثانياً : ما جاء فى أوج التحرى عن حيشية أبى العلاء المعمرى للشيخ يوسف البديعى مؤلف كتاب الصبح ، إذ يقول : «ويقال إن الذين نسبوه إلى معارضة القرآن العزيز بهذا الكتاب وهو الفصول والغايات كما وأ من أهل زمانه يحسدونه على فضله ومكانته ، فقصدوا لأذاه ، وتتبعوا كلامه ، فحملوه على غير المقصود الذى قصده كما هو عادة أبناء كل زمان فى افتراء الكذب ، واختلاق البهتان ، وقد ألف هو (أبو العلاء) كتاباً فى الرد على من نسب إلى معارضة القرآن والجواب عن أبيات استخرجوها من نظمه ، ورموه بسبها بالكفر والظنيان ، وسمى الكتاب «زهر النايح» رد فيه على الطاعن فى دينه والقادح ص ٦٥ من أوج التحرى .

تاج وراج وحاج ، كالمُخمسات والمُوشحات^(١) ، وهذه فصول منه ، وقد انتقدت عليه .

لُبِّكَ نبيك الصادق ، فانظر ما يُخبرُ نَبِّكَ ولا تخالفنه ، وعليك سجية المؤمن ، وشاكة فنه . ما أثق بخبر يسنّ فيه اللب . غيرَ الكلمَ بغضٌ وحُبٌّ . اتبع معقولك فإنه يهديك ، ولا تكن شرّ تسيب . كيف أسفك على الغصون الناضرة هزها نسيم لَطْفٍ فَسَدَّ بَلَن . لو صدّقنا الخبر لوقع الجِدِّ ، ولكن بان كذبه لمن يعقل ، فما أطاق الناس الكُلف . وبالله الواحد أتعوذ من شرّ الألسنة وما أجالن : من زعم أنه قد هدى فذلك هو المرء المتحير . ما لعماك لحاهُ اللهُ ما انت الصمّد أخبارُهُ : أخبرك زعيمٌ عن ربك فخطّبت بالكذب أخبارُهُ ؛ من ربح من سوق الكذب فذلك المعروفُ خسارُهُ : قد غيّرَ قليلَ العمر ، وذهب في الباطل سارُهُ اجعل معقولك دليلك . وأبردُ بالنسك غليلك ، واحذر أن تهضم دليلك . رب حديث يُستمع والعقل يخبرك ضده . عزّ مُصوّرُ الأمم لم يُثبت الفكرُ نِدَّهُ . العقل نبي ، والخطا خبيء والنظر ربي^(٢) ، ونور الله لهذه الثلاثة معين . القوة بك إله الجبارين . أخبر عنك فسمعت الخبر ، وكيف يظهر سرُّك إلى المخلوقين ، ومنحتني حساً يشهد أن أخبارهم أباطيل ، فإذا صدقتها ألغيتُ مامنتنيه وإن كذبتها أفعاقبي أنت برد ما دفعه المعقول ؟ كيف أصدق ما نقله ابن دأب . نستغفرك وأنت الواحد ، ما لعظمتك جاحد . أخبر بعضُ الناس عنك فكذب ؛ وأنت أهل العظمة ما أوجهُ الكذبَ وضاء . ما تقدر على ما يرضيك . لأنا لا نعرف غرّضك . لكن العقل يخبر أن فعل الخير لوجهك . إن كتب كاتب على فليحفظ عن لساني وشفتي ، أني أقرّ بالله فلا أجدده ، وأستغفره وأوحده ، وأشهد على أن كان ذنبي بخطأ وتفريط لا أحسم أملى من عفو الله العظيم ، وأزدري نفسي

(١) يشبه نثر الفصول والغايات بما التزم في مجعته من نظام خاص بالمخمسات والموشحات .

(٢) من قوله : العقل . . . إلى « ونور الله للثلاثة معين » رأيناه ضمن فصل من الجزء المطبوع من

الفصول والغايات ص ٢٠٨ غايته ثاء . ومعنى : نبي : منبئ ، خبيء : مخبوء ، ربي : حارس مطلع .

• هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن دأب أحد بني ليث بن بكر ، كان شاعراً أخبارياً ، وعلمه بالأخبار أكثر . قال الأصمعي : أقمت بالمدينة زماناً ما رأيت بها قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة ومصنوعة ، وكان بها ابن دأب يصنع الشعر ، وأحاديث المسر ، وكلاماً ينسب إلى العرب فسقط وذهب علمه ، وخفيت روايته . . . تاج العروس ج ١ ص ٢٣٢ مادة دأب .

من دون الأنفس ، وقلّ ما أنظر إلى البشر بازدياء ، ما أنطقُ وما أقول ، في شأن الصمد ضلت العقول ، ما يثستُ من كرمك ولا أبليست ، ألتستُ عبدك ألتستُ؟ بلي ، ولكني مسيء ، فلا إله إلا أنت استغنيت بمعرفتك عن كل السفراء ؛ الحمد لك إذ لم تنشر لي حديثاً في البشر كحديث العبّري^(١) . إذ فعل مع الكنتة فعل غير سرى . تلتمس . من ربك ، وليس في الأنوار المشرقة شيء أعظم إنارة من حجاك .

خروج المتنبي
والقبض عليه
وبجبه

ولما اشتهر أمره^(٢) وشاع ذكره ، وخرج بأرض ساسانية^(٣) من عمل حمص في بني عدى قبض عليه ابن علي الهاشمي في قرية يقال لها كوتوكين ، وأمر النجار بأن يجعل في رجله^(٤) وعنقه قرمتين^(٥) من خشب الصّفصاف ، فقال المتنبي :

زعم المقيمُ بكوتوكين بأنه من آل هاشم بن عبد مناف
فأجبتُهُ مذ صرت من أبنائهم صارت قيودُهُم من الصّفصاف^(٦)

ولما صار معتقلاً في الحبس كتب إلى الوالي :

يئدي أيها الأمير الأريبُ لا لشيء إلا لأنني غريبُ
أو لأمّ لها إذا ذكرتني دمُ قلب بدمع عين يذوب^(٧)
إن أكن قبل أن رأيتك أخطأ ت فإني على يدك أتوب
عائبُ عابني لسديك ومنه خلقت في ذوى العيوب العيوبُ

قيل : كان للوالي الذي حبس المتنبي ولدٌ صغير فسمع به ، فدخل لينظره ،

(١) العبري : لم نعثر له على خبر .

(٢) « أمره » كذا في : ا ، ب وفي سائر النسخ « أمر المتنبي » .

(٣) مدينة على بعد أربع ساعات من حافة لجهة الشرق كانت أيام سيف الدولة وقد جاء ذكرها في

شعر المتنبي ثم خربت .

(٤) سائر النسخ : رجله .

(٥) المراد بالقرمة القطعة الغليظة من الخشب .

(٦) كوتولين : ضيعة بأرض سلمية (عن الواحدى) .

« فأجبتُهُ مذ صرت من أبنائهم » كذا في ا ، ب .

وفي ح ، د ، هـ : « مذ صرت في أبنائهم متنبتاً » .

وفي الواحدى : « فأجبتُهُ من صرت من أبنائهم » والبيتان تهكم بابن علي الهاشمي المقيم بكوتولين .

(٧) « دم قلب بدمع عين يذوب » كذا في جميع النسخ . وفي الواحدى :

« دمع قلب بدمع عين سكوب » .

فرآه منزعجاً من القيود مضطرباً ، فقال له : اصبر كما صبر أولو العزم من الرسل :
وهذه موضوعة ، لأنها نقلت عن أحد أبناء الخلفاء العباسية ، وكتب إليه من
السجن قصيدة يستعطفه بها^(١) أولها :

أبا خَدَدَ اللهُ وردَ الخُدودِ وقدَ قدودَ الحِسانِ القُدودِ

يقول في أثنائها في استعطاف ذلك الأمير والتنصل إليه مما اتهم به :

لقد حال بالسيف دون الوعيدِ وحالت عطاياه دون الودودِ
فأنجم أمواله في النحوسِ وأنجم سُؤاله في السعودِ^(٢)
ولو لم أخفُ غيرَ أعدائه عليه لبشرتُهُ بالخلودِ^(٣)

قيل^(٤) : ولما وصل الولى إلى هذا البيت وهو :

وبيض مسافرة لا^(٥) يقه ن لا فى الرقاب ولا فى الغمودِ

قال : لقد تصيب عرقاً ، وتقلب أرقاً حتى استنبط هذا المعنى من قول
أبي بكر النحوى المعروف ببُرْمَة^(٦) وهو :

وبيض تسافر ما إن تقيم لا فى الرقاب ولا فى القُرْبِ
بطيء رضاهن لكنها غداة اللقاء سِرَاعُ الغضبِ

(١) جاء في بعض نسخ الديوان تقدماً لهذه القصيدة : أن هذا الولى هو إسحق بن كيخلف ، وكان
قوم قد وشوا بالمثبى إليه ، وقالوا له قد انقاد له خلق كثير من العرب ، وقد عزم على أخذ بلدك ، حتى
أوحشوه منه فاعتقله ، وضيق عليه ، فكتب إليه يستعطفه . ومعنى المطلع : أنه دعا على ورد الخدود أن
يشققه الله ويزيل حسنه ، وأن يقطع القدود الحسان وهو دعاء على التعجب والاستحسان كقول جميل :
رى الله فى عينى بشينة بالقذى وفى القر من أنيابها بالقوادح

(٢) هذا المعنى منقول من قول الطائي :

طلعت على الأموال أنحس مطلع وعدت على السؤال وهى سعود

(٣) يقول : لا أخاف عليه أعداءه ؛ لأنهم لا يستطيعون أن يتألوه بشر ، وإنما أخاف عليه
قضاء الله المحتوم ، ولولا ذلك لبشرتُهُ بالخلود .

(٤) ساقطة من سائر النسخ .

(٥) فى هامش (هـ) عن نسخة وفى الديوان : ما يقمن .

(٦) ب ، د ، هـ : بمرمة . ح : بعرقلة . تحريف . وأبو بكر هذا هو محمد بن جعفر صهر

المبرد على ابنته .

إلى أن قال :

أمالكَ رقي ومَن شأئه هبات اللجيين وعتق العبيد
دعوتك عند انقطاع الرجا والموت مني كحبل الوريد
دعوتك لما براني البلي وأوهن رجلي ثقل الحديد
وقد كان مشيهما في النعال فقد صار مشيهما في القيود
وكنت من الناس في مَحْفِل فيها أنا في محفل من قروود^(١)
تعجل في وجوب الحدود وحدي قبل وجوب السجود

أى إنما تجب الحدود على البالغ ، وأنا صبي لم تجب علي الصلاة بعد ويجوز أن يكون صغر أمر نفسه عند الوالى ، لأن من كان صبياً لم يظن به اجتماع الناس إليه للشقاق والخلاف . ومنها :

وقيل عدوت على العالم ن بين ولادى وبين القعود
فالك تقبل زور الكلام وقدر الشهادة قدر الشهود
فلا تسمعن من الكاذبين ولا تعبان بمحك اليهود^(٢)
وكن فارقاً بين دعوى أردت ودعوى « فعلت » بشأو بعيد
وفي جود كفيك ما جدت لى بنفسى ولو كنت أشقى ثمود^(٣)

وكتبت إلى أبى دلف سجان الوالى المدوح بالقصيدة السابقة وقد بره [فى ما قاله فى السجن]^(٤) :

أهون بطول الثواء والتلف والسجن والقيود يا أبا دلف
غير اختيار قبلت برك لى والجوع يرضى الأسود بالحييف

(١) أراد بالقروود هنا المحروسين معه من اللصوص وأصحاب الجنائيات .

(٢) المحك : اللجاج .

(٣) هو قدار بن سالف عاقر ناقة صالح وقد ضرب به المثل فى الشقاء .

(٤) ساقطة من الأصل ، وكان أبو دلف هذا قد أهدى إلى المتنبي هدية وهو معتقل بمحص قبلها

المتنبي على كره لما بلغه من ثلب أبى دلف له عند الوالى ويقال إنه توعد بالبقاء فى السجن والأبيات ناطقة بهذا ، وأبو دلف هذا هو سجان المتنبي حبس عنده سنتين ، وكان مع ذلك صديقه ، بره وهو فى سجن الوالى الذى كتب إليه المتنبي قصيدته السابقة : • أياخدد الله ورد الحدود •

كن أيّها السجن كيف شئت فقد وطنت للموت نفس معترف (١)
لو كان سكناي فيك منقصةً لم يكن الدر ساكن الصدف (٢)
والبيت الثاني مأخوذ من قول أبي على البصير (٣) :

ولكنّ البلاد إذا اقشعرت وصوّح نبتّها رعيّ الهشيم
ومنه أخذ المهلب (٤) قوله :

وما كنت إلا كلحم ميّت دعا إلى أكله اضطرار
والبيت الرابع يشابه قول أبي نصر الحيزّ أرزى (٥) :

حصلت منكم على ما ليس يقنعني وكيف يقنع سوء الكيل والحشّاف

(١) هامش ه عن نسخة : أنت بدل « شئت » . المعترف : الصابر .

(٢) هو من قول أبي هفان :

تعجبت در من شيرى فقلت لها لا تعجى فطلوع البدر في الصدف
وزادها عجباً أن رحمت في سمل وما درت در أن الدر في الصدف

(٣) أبو على البصير : هو الفضل بن جعفر . أصله من الأنبار ، وسكن الكوفة وبغداد ، وكان ضريباً ، ولقب البصير لذكائه . وهو أحد الأدباء البلغاء الظرفاء . وقدم « سر من رأى » في أول خلافة المعتصم ، ومدحه والخلفاء بعده ، وبها توفى سنة ٢٥١ هـ . وقبل البيت الذي ذكره المؤلف :

لعمر أبيك ما انتسب المعلّى إلى كرم وفي الدنيا كريم

والذي في العكبري أن المتنبى نقل عن المهلب ، ثم قال : ومثله لأبي على البصير .

(٤) المهلبى : المراد بالمهلبى هنا : عبد الله بن محمد بن أبي عيينة كما في الوساطة طبعة العرفان بصيدا صفحة ١٧٠ . وكان عبد الله هذا شاعراً وأبوه أبو عيينة محمد بن أبي عيينة بن المهلب شاعراً أيضاً ، وقد ذكرهما ابن النديم في الفهرست (طبعة القاهرة ص ٢٣٣) وذكر أن لكل منهما ديواناً في نحو مئة ورقة . وكان بين عبد الله وابن عمه مروان بن سعيد الذي ستأق ترجمته مهاجاة . وفي الموشح للمرزباني (طبعة القاهرة ص ٣٧٠ - ٣٧٢) حديث عن هذه المهاجاة .

(٥) هو أبو القاسم البصرى المعروف بالحيزّ أرزى شاعر أمى مجيد كان خبازاً يخبز خبز الأرز بديكان له في مربد البصرة ، فكان يخبز وهو ينشد ما يقول من الشعر ، فيجتمع الناس حوله ، ويزدحمون عليه لاستماع شعره ، ويتعجبون من إجادته في مثل حاله وحرفته ، ومن شعره :

رأيت الهلال ووجهه الحبيب فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرت فيهما هلال السما من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين وما راعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب وكنت أظن الحبيب القمر

وتوفى سنة ٣٢٧ هـ .

وليس سكتائى نقصاناً لمترلى فيكم كما الدر لا يزرى به الصدف

وأحسن * ما قاله مسجون قول علي بن الجهم (١) لما حبسه المتوكل (٢):

قالت (٣) حبست فقلت ليس بضائري (٤)
أوما رأيت الليث يألف غيلته
والنار في أحجارها مخبوءة
والغيث يحفظه الغمام فما يرى
والبدر يدركه الظلام فتنجلي
والزاعبية لا يقيم كعوبها

حبسى وأى مهند لا يغمد
كيسراً وأوباش السباع تردد (٥)
لا تصطلى إن لم تثرها الأزد
إلا وريته يراح ويرعد (٦)
أيامه فكأنه متجدد (٧)
إلا الثقاف وجذوة تتوقد (٨)

* هذه القصيدة من حر الشعر لم يقل في معناها مثلها . اقرأ ما كتب عنها في ديوان ابن الجهم تحقيق خليل مردم بك وقد رجعتنا إليه في تصحيحها وهي طويلة اقتصر المؤلف هنا على رواية بعضها على أن أبياتها هنا على غير ترتيبها في الديوان المشار إليه .

(١) هو أبو الحسن علي بن الجهم القرشي أحد الشعراء المجيدين نشأ بخراسان ، وانتقل منها إلى العراق فسكن بغداد ، واتصل بالمتوكل فاخص به ، ولكنه كان تماماً واشياً بالناس كثير الكذب ، فلما ظهر للمتوكل أمره ، وبلغه أنه هجاء سجنه ، وفي سجنه هذا قال قصيدته تلك ينق فيها عار السجن ، وتعد فريدة في بابها . ويقال إن المتوكل نفاه إلى خراسان سنة ٢٣٢ هـ ليعذب فيها على يد طاهر بن عبد الله ابن طاهر بن الحسين حتى قيل إنه صلبه يوماً كاملاً وقد مات مقتولاً سنة ٢٤٩ هـ في الطريق بين العراق والشام ، وكان من أطبع الناس على الشعر الجيد وهو القائل :

عيون المها بين الرصافة والبحسر
جلبن الهوى من حيث ندرى ولا ندرى

ويقال إنه لما نزع ثيابه بعد موته وجدت فيها رقعة قد كتب فيها :

وارحمتا للغيرب بالبلد النا
زح ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فا انتفعوا
بالعيش من بعده وما انتفعا

(٢) المتوكل : هو الخليفة جعفر المتوكل بن المعتصم العباسي بويغ له بالخلافة سنة ٢٣٢ هـ بعد أخيه الواثق وقد بايع بولاية العهد لولده المستنصر ثم أراد عزله وولاية أخيه المعتز ، واتفق أن جنده من الترك قد انحرفوا عنه فاتفقوا مع ابنه على قتله ، ودخلوا عليه في مجلس هوء ، وقتلوه في سنة ٢٤٧ هـ .
(٣) هامش (٥) عن نسخة : قالوا .

(٤) روى : بضائر . (٥) الفيل : الشجر الكثير الملتف والأجم وموضع الأمد .

(٦) يحظره : يمنعه . رواية الديوان : يحصره .

ريق كل شيء : أوله . يراح من راح اليوم يراح ريحاً كان شديد الريح يريد بينا الغمام يمسك المطر إذ تهب عليه الريح فجأة ويحدث الرعد في خلاله فيتبدد ماؤه ويتساقط على غير انتظار .

(٧) روى : والبدر يدركه السرار . . .

(٨) الزاعبية : رماح منسوبة إلى زاعب رجل من الخوارج كان يعمل الأسمنة . وفي جميع النسخ

الزاعبية بالعين المعجمة تحريف .

غَيْرُ اللَّيَالِي بَادِيَاتُ عُوْدٍ
 لَا يُوَيْسِنُكَ مِنْ تَقَرُّجِ كَرْبَةٍ
 فَلَكَ حَالٌ مُعَقِّبٌ وَلِرَبِّمَا
 كَمْ مِنْ عَلِيلٍ قَدْ تَخَطَاهُ الرَّدَى
 صَبْرًا فَإِنَّ الْيَوْمَ يَتَعَقِبُهُ غَدٌ
 وَالْحَبْسُ مَا لَمْ تَغْشَهُ لَدُنَيْسَةٍ
 لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحَبْسِ إِلَّا أَنَّهُ
 بَيْتٌ يُجَدِّدُ لِلْكَرِيمِ كِرَامَةَ
 وَمِنْهَا :

أَمِنَ السَّوِيَّةَ يَا بَنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ
 إِنْ الَّذِينَ سَعَوْا إِلَيْكَ بِيَاطِلٍ
 شَهِدُوا وَغَبْنَا عَنْهُمْ وَتَحَكَّمُوا
 لَوْ يَجْمَعُ الْخَصْمَانُ (٦) عِنْدَكَ مَجْلِسٌ
 خَصْمٌ تُقَرِّبُهُ وَآخِرُ تَبَعْدُ
 أَعْدَاءُ نِعْمَتِكَ الَّتِي لَا تُجْحَدُ
 فِينَا وَلَيْسَ كَغَاثِبٍ مَنَنْ يَشْهَدُ
 يَوْمًا لِبَانَ لَكَ الطَّرِيقُ الْأَقْصَدُ

(١) كذا في ح ، د والديوان وهي أجدر بهذا الموضع وفي ا ، ب : عبر .

(٢) الديوان : لا يؤيسنك

خطب رماك ...

* في الموشح ص ٣٨٤ يقول تحت عنوان : محمود الوراق :

اشترك محمود وعلى بن الجهم في معنى قول علي وأحسن فيه : كم من عليل ...
 وقول محمود :

وكم من مريض نعاه الطبيب إلى نفسه وتولى كتيباً
 فأت الطبيب وعاش المريض فأضحى إلى الناس ينهى الطبيباً

فأساء فيه ؛ لأنه إن كان أخذه من علي وجاء به في بيتين ومضته وصيره قصصاً بقوله : أضحى ينعاها
 إلى الناس ، فقد أخطأ ، وإن كان على أخذه منه فقد جاء في بيت واحد وأحسن فصار أحق بالمعنى منه ،
 وأخذه جميعاً من قول عدى بن زيد :

وصحيح أضحى يعود مريضاً وهو أدنى للموت من يعود

(٣) الديوان : صبراً ، فإن الصبر يعقب راحة ...

(٤) المتردد أى المتردد عليه . الديوان : المتورد .

(٥) الديوان : ويزار فيه ولا يزور ويحفد . يحفد أى يخدم .

(٦) الخصمان : جمع خصيم وهو المخاصم . الديوان : (الخصمين معنى خصم .

والشمس لولا أنها محجوبة* عن ناظريك لما أضاء الفرقد

وقال عاصم بن محمد الكاتب * لما حبسه أحمد بن عبدالعزيز بن أبي دلف^(١) :
 قالوا حبستَ فقلت خطب أنكدُ
 لو كنتُ حرّاً كان سربي مطلقاً
 لو كنتُ كالسيف المهند لم يكن
 لو كنتُ كالليث المصور لما رعتُ
 من قال إن الحبس بيت كرامة
 ما الحبسُ إلا بيتُ كل مهانة
 إن زارني فيه العدو فشامتُ
 أو زارني فيه الصديق فوجعُ
 يكفيك أن الحبس بيتٌ لا ترى
 تمضي الليالي لا أدوق لرقدة
 في مطبّق فيه النهار مُشاكلُ

أُنحى علىّ به الزمانُ المرصِدُ^(٢)
 ما كنتُ أحبّس عَسوةً وأقيدُ^(٣)
 وقتَ الكريهة والشدائد يُغمدُ
 في الذئابُ وجدوني تتسوقد
 فكابِرُ في قوله مُتجلد
 ومذلة ومكاره لا تُنفد
 يُبدي التوجع تارة ويُفندُ^(٤)
 يُذرى الدموع بزفرة تتردّد
 أحداً عليه من الخلائق يُحمد
 طعماً وكيف حياة من لا يسرقندُ؟
 لليل والظلمات فيه سرمدُ^(٥)

قال أبو علي^(٦) : قيل للمتنبي على من تنبأت؟ قال على الشعراء . فقيل :
 لكل نبيّ معجزة فما معجزتك؟ قال : هذا البيت :

ومن نكد الدنيا على الحرّ أن يسيّ
 عدوّاً له ما من صداقته بُدّ

* عاصم بن محمد الكاتب : في معجم الشعراء أنه محدث متأخر كان في ناحية ابن أبي البتل محمد
 ابن يحيى وزير المقتدر (وخلافة المقتدر من ٢٩٥ هـ - ٣٢٠ هـ) وذكره صاحب الفهرست ط القاهرة
 ص ١٣٨ في الكتاب الشعراء وأن ديوانه في ثلاثين ورقة .

(١) أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف : من أحفاد أبي دلف القاسم بن عيسى العجل أمير من
 بيت مجد ورياسة كان من الولاة في أيام المعتد والمعتض العباسيين .

(٢) في « الأنكد » مكان « المرصد » .

(٣) من معاني « السرب » النفس والطريق . عنوة : قهراً . (٤) يفند : يلوم .

(٥) مطبق : سجن تحت الأرض . ومن الطريف أن توازن بين ما قال هؤلاء الشعراء في السجن ،
 فترى بعضهم ينق عاره ، ويذهب به الخيال مذاهب تصور السجن في صورة غير كريهة ، وأصرح هؤلاء
 الأخير فقد عبر أصلق تعبير عن آلام السجون .

(٦) أبو علي : استظهرنا أنه أبو علي الحسن بن أحمد بن أبان الفارسي ولد بفارس ، وانتقل إلى
 بغداد سنة ٣٠٧ هـ ، وكان إمام وقته في علم التجو ، ودار في البلاد ، وأقام بحلب عند سيف الدولة وكان =

وحكى أبو الفتح عثمان بن جني^(١) قال : سمعت أبا الطيب يقول : إنما لقيتُ بالمتنبي لقرئى :

أنا تَرِبُّ النَّدى وَرَبُّ القَوايِ وَسِمامِ^(٢) العِدا وَغَياطِ الحِساودِ
أنا فى أُمَّة تداركها الا هُ غَريبٌ كِصالِح فى تَمودِ
ما مُقامى بأرضٍ نَحَلَّةَ إِلا كَمقامِ المِسيحِ بينَ اليَهودِ^(٣)

قال أبو العلاء المعرى فى رسالة العُفُوران : وحُدثتُ أن المتنبي كان إذا سئل عن حقيقة هذا اللقب ، قال : هو من النَّبوةِ أى المرتفع من الأرض ، وكان قد طمع فى شىء قد طمع فيه من هو دونه ؛ ثم قال : وقد دلت أشياء فى ديوانه أنه كان مُتألهاً^(٤) ومثل غيره من الناس مُتندهاً^(٥) . فن ذلك قوله :

• ولا قابلاً إِلا لخالقه حُكماً^(٦) •

وقوله :

ما أقدر الله أن يُخزى بِرِيتِه ولا يُصدِّقُ قولاً فى الذى زعموا^(٧)

= قدمه عليه فى سنة ٣٤١ هـ وبجرت بينه وبين أبي الطيب المتنبي مجالس ، ثم انتقل إلى بلاد فارس ، وصحب عضد الدولة ، وتقدم عنده ، وعلت منزله ، وهو صاحب كتاب الإيضاح والتكلمة وغيرها . توفى سنة ٣٧٧ هـ .

(١) كان من أئمة النحو والعربية ولد بالموصل وتوفى ببغداد سنة ٣٩٢ هـ . ومن مؤلفاته الخصائص فى اللغة ، وكان يحضر مجلس عند المتنبي كثيراً ، ويناظره فى شىء من النحو وكان المتنبي يقول فى أبي الفتح : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس ، ويقول : ابن جنى أعرف بشعرى منى ، وتتلّمذ أبو الفتح لأبي عل الفارسي أربعين سنة .

(٢) سمام : جمع سم وفى سائر النسخ : سهام .

(٣) « نخلة » كذا فى الواحدى وهى قرية كما يقول لبنى كلب على ثلاثة أميال من بعلبك من أرض الشام . جميع النسخ (نحلة) وفى معجم البلدان رسم نحلة بالحاء المهملة قرية بينها وبين بعلبك ثلاثة أميال إياها عنى أبو الطيب فيما أحسب بقوله : ما مقامى . . . إلخ .

• ما بين النجمين الأول من : قال أبو العلاء . . . والثانى فى نهاية ص ٧ - زيادة انفردت بها « أ » .
(٤) متألهاً : متديناً .

(٥) متندهاً : من دلّه العشق إذا ذهب بعقله يريد أنه كالمتصوف .

(٦) عجز بيت صدره : • تغرب لا مستعظما غير نفسه • وهو من قصيدة يرقى بها جدته لأمه مظلها : • ألا لا أرى الأحداث مدحا ولا ذما •

(٧) الأصل : « بريته » بدل خليفته . « قولا » بدل « قوماً » .

ثم قال : وإذا رُجِعَ إلى الحقائق فنطق اللسان لا يُنْبِئُ عن اعتقاد الإنسان ، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ، وُيَحْتَمَلُ أن يظهر الرجل بالقول تدينًا ، وإنما يجعل ذلك تزينًا .

ثم قال : وحدثت أن المتنبى كان يصلي بموضع بمجرة النعمان يقال له كنيسة الأعراب ، وأنه صلى ركعتين ، وذلك في وقت العصر . ويجوز أنه كان على سفر ، وأن القصر له جائز .

ثم قال : وحدثت عنه حديثًا معناه أنه لما حصل في بني عدي ، وحاول أن يسخرج فيهم ، قالوا له وقد تبينوا دعواه : ههنا ناقة صعبة فإن قدّرت على ركوبها أقرنا أنك مرسل ، وأنه مضى إلى تلك الناقة وهي رائحة في الإبل ، فتحيل حتى وثب على ظهرها ، فنفرت ساعة ، وتنكرت برّهة ، ثم سكن نفارها ، ومشت مشي المسّمحة وأنه ورد بها الحلة (١) ، وهو راكب عليها ، فعجبوا له كل العجب ، وصار ذلك من دلائله عندهم .

وحدثت أيضًا أنه كان في ديوان اللاذقية ؛ وأن بعض الكتاب انقلبت على يده سكن الأقاليم ، فجرحته جرحًا مُفْرِطًا ، وأن أبا الطيب تسفل عليها من ريقه وشدها ، غير منتظر لوقته ، وقال للمجروح : لا تحلها في يومك ، وعدّ له أيامًا وليالي ، وأن ذلك الكاتب قبل منه ، فبرئ الجرح فصاروا يعتقدون في أبي الطيب أعظم اعتقاد ، ويقولون : هو كحجي الأموات .

وحدث رجل كان أبو الطيب قد استخفى عنده في اللاذقية أو في غيرها من السواحل ، وأراد الانتقال من موضع إلى موضع ، فخرج بالليل ومعه ذلك الرجل ، ولقيهما كلب ألح في النباح ثم انصرف ، فقال أبو الطيب لذلك الرجل وهو عائد : إنك ستجد الكلب قد مات . فلما عاد الرجل ألح الأمر على ما ذكر .

ولا يمتنع أن يكون أعدّه له شيئًا من المطاعم مسمومًا وألقاه وهو يُخفي عن صاحبه ما فعل * .

(١) الحلة : موضع .

* إلى هنا انتهت الزيادة التي انفردت بها النسخة (١) .

وقال له بعض الأكابر وهو في مدينة السلام : أخصبرتني من أثنى به أنك قلت : أنا نبي ، فقال : الذي قلته : أنا أحمد النبي^(١) .

قال أبو عبد الله ياقوت الرومي^(٢) :

ولم يزل المتنبي بعد خروجه من الاعتقال في خمول وضعف حال^(٣) في بلاد^(٤) الشام ، حتى اتصل بأبي العشائر^(٥) ومدحه بعدة قصائد أولها^(٦) :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خليفة في المآق^(٧)
كيف تررتي التي تررى كل جفن راءها غير جففتها غير راق^(٨)
أنت منا فنتت نفسك لكنت لك عوفيت من ضنتي واشتياق^(٩)
حلت دون المزار فاليوم لو زر ت لحال النحول دون العناق

(١) في هذا الجواب تورية لا تدفع عنه تهمة .

(٢) هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي أسر صغيراً من بلاده وابتاعه رجل من تجار بغداد فعلمه وثقفه ورباه ودربه على التجارة فكان كثير الأسفار طوافاً في الأمصار معنيا بطلب التجارة والكسب وبعد أن مات سيده استقل بالعمل وحده وأضاف إلى أعماله الاتجار بالكتب وكان كثير المطالعة مشغولاً بها ومن أشهر مؤلفاته كتاب : إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب المعروف بمعجم الأديباء وقد طبع أخيراً بمصر وكتاب معجم البلدان وقد طبع في مصر ١٩٠٦ م وله غير هذين كتب كثيرة وتوفي سنة ٦٢٦ هـ .

(٣) اختلف المؤرخون في دعوى المتنبي النبوة فمنهم من قال بذلك كصاحب هذا الكتاب ومنهم من نفى هذه الدعوى وقال إن المتنبي إنما كان يطعم في الملك وربما سعى إلى غايته باجتماع بعض الأعراب الجفافة بإظهار شيء من الحيل المعروفة حتى يحتجهم إلى نصرته من غير أن يكون هناك ادعاء للنبوة ودليلهم على ذلك أن أعداء المتنبي وقد كانوا كثيرين جداً لم يعيروه مرة واحدة بأنه ادعى النبوة مع أن ذلك لو ثبت لكان شراً ما يوصف به ولا تصح به مجال الهجاء .

(٤) « في بلاد الشام » ساقطة من سائر النسخ .

(٥) هو الحسن بن علي بن الحسن بن الحسين بن حمدان بن عم سيف الدولة وأمير أنطاكية من قبله .

(٦) كذا في أ ، ب . وفي سائر النسخ : منها قوله :

(٧) تراها : تظنها . المآق : جمع المآق لغة في الموق وهو طرف العين مما يلي الأنف ، والمعنى : أتراها لكثرة العشاق الذين لا تراهم إلا باكين تحسب أنهم خلقوا هكذا فلا ترحمهم ولا ترثي لحالم . وهذا ابتداء جيد .

(٨) راءها : مقلوب رآها . راق : راقع بمعنى منقطع الدمع .

والمعنى : كيف ترثي المعشوقة التي ترى كل جفن ما خلا جفنها سائل الدمع لهجرها وهذا بيان لما في البيت السابق أي أنها تظن الجفون خلقت دامة لأنها لا تراها إلا كذلك . وهذا البيت سيء التركيب .

(٩) أنت منا أي من جملة العاشقين لنفسك ولكنك سلمت مما بنا من السم والشوق لأنك واصلت نفسك دوننا والمتنبي لم يسمه تعبيرة عن هذا المعنى .

اتصاله بأبي
العشائر

ومنها في المديح (١) :

وتكاد الظبي لما عودُوها
وإذا أشفق الفوارسُ من وقْدِ
تَشْتَضِي نَفْسَهَا إِلَى الْأَعْتَاقِ
عِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنَ الْإِشْفَاقِ (٢)

ومنها القصيدة التي أولها :

لَا تَحْسَبُوا رَبِّعَكُمْ وَلَا طَلَكَلَهُ
قَدْ تَلَفَسَتْ قَبْلَهُ النُّفُوسُ بِكُمْ
أَوْلَى حَتَّى فِرَاقِكُمْ قَتَلَهُ
وَأَكْثَرَتْ فِي هَوَاكُمُ الْعَذَلَهُ (٣)

ومنها في المديح :

مُسْتَحْبِبِيًّا مِنْ أَبِي الْعَشَائِرِ أَنْ
أَسْحَبَهَا عِنْدَهُ لَدَى مَلِكِ
أَسْحَبَ فِي غَيْرِ أَرْضِهِ حُلْمَهُ (٤)
ثِيَابُهُ مِنْ جَلِيْسِهِ حَجَلَهُ (٥)

وأراد أبو العشائر سفاً فقال عند وداعه ارتجالاً قصيدة أولها :

النَّاسُ مَا لَمْ يَرُوكَ أَشْبَاهُ
وَالدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ
وَالجُودُ عَيْنٌ وَفِيكَ نَاطِرُهُ
وَالنَّاسُ بَاعٌ وَفِيكَ يُمْنَاهُ (٦)

ومنها :

تُنْشِدُ أَثْوَابِنَا مَدَائِحَهُ
إِذَا مَرَرْنَا عَمَى الْأَصَمِّ بِهَا
بِالْسُنِّ مَا لَهْنٌ أَفْوَاهُ
أَغْنَتْهُ عَنِ مَسْمَعِيهِ عَيْنَاتُهُ

(١) هذه العبارة ساقطة من ح ، د ، هـ .

(٢) القنا : الريح . الإشفاق : الخوف أي إذا خاف غيرهم من الفوارس أن يصابوا بأذى الحرب

فهؤلاء يخافون أن يلحقهم عار الهزيمة .

(٣) كذا في : ا وفي نسخة الديوان . وفي سائر النسخ : من هواكم .

(٤) في هذه القصيدة تمرىض يقوم لحق المتنبي منهم أذى يظهر في هذا البيت وأخص من يعرض به

رجل اسمه المسعودي كان المتنبي سبياً في اتصاله بأبي العشائر ولكنه كان يتناوله عنده ويقع فيه ومن كلامه

في هذا الرجل من هذه القصيدة :

وربما أشهد الطعام على
من لا يساوى الخبز الذي أكله

(٥) الديوان : وجلة .

(٦) كذا في جميع النسخ وفي هامش هـ عن نسخة الديوان :

وَالجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاطِرُهَا
وَالبَّاسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ

وأصل هذا المعنى لِنُصِيبُ^(١) [حيث قال]^(٢) :

فَعَادُوا وَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ^(٣)

وتبعه مَعْوَجَ الرَّقَى في قوله^(٤) :

قَدْ أَتْنِي مِنْ أَبِي الْعَبَّ اس يَوْمَ الْمِهْرَجَانِ
خَلِجٌ تُشْنِي عَلَيْهِ الدَّهْرَ رَ مِنْ غَيْرِ لِسَانِ
وَإِذَا تَأَمَّلَ التَّمَلُّمَ عَرَّفَ الْفَرْقَ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَ أَبِي الطَّيِّبِ^(٥) .

[ومنها]^(٦) :

سُبْحَانَ مَنْ خَسَرَ لِلْكَوَاكِبِ بِالْبُعْ د وَلَوْ نُئِنُّنَ كُنْ جَدَّوَاهُ

(١) هو نصيب بن رباح شاعر مقدم في النسب والمدايح وكان عبداً أسود أعتقه عبد العزيز ابن مروان وسكن البادية وله شهرة ذائعة وأخبار مع عبد العزيز ابن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم توفي سنة ١٠٠ هـ .

(٢) « حيث قال » ساقطة من « ا » .

(٣) سقط بيت نصيب هذا من جميع النسخ غير « ا » .

(٤) « وتبعه معوج الرقى في قوله » عبارة ساقطة من جميع النسخ أيضاً غير « ا » .

ومعوج الرقى شاعر كان في بلاط سيف الدولة .

(٥) المعنى عند الشعراء الثلاثة واحد ويمتاز المتنبي بقوة المعاني وبيت نصيب من جملة أبيات يمدح بها سليمان بن عبد الملك وبخلاصة الخبر : أن الفرزدق ونصيباً حضرا عند سليمان بن عبد الملك فقال سليمان للفرزدق أنشدني مقدرأ أن يمدحه فأشده :

وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم إلى شعب الأكوار ذات الحقائق
إذا آنسوا ناراً يقولون : ليها وقد خصرت أيديهم نار غالب

فأطرق سليمان عنه مغضباً فقال نصيب يا أمير المؤمنين ألا أنشدك في رويها ما لعله لا يتضع عنها قال :
هات فأشده :

أقول لركب قافلين لقيتهم فقا ذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعرفه من أهل ودان طالب
فماجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائق

فقال سليمان للفرزدق كيف تراه؟ قال : هو أشعر أهل جلدته . وكان نصيب أسود، فقال سليمان : يا غلام اعط نصيباً خمسمائة دينار وألحق الفرزدق بنار أبيه فخرج الفرزدق وهو يقول :

ونغير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

(٦) ساقطة من : ا ، ب .

لو كان ضوء الشمس في يده لصاغته جوده وأفناه^(١)
يا راحلاً كل من يودعه مودع دينه وديناه
إن كان فيما تراه من كرم فيك مزيد فزادك الله

فأكرمه أبو العشائر ، وعرف منزلته ، وكان أبو العشائر والى أنطاكية من قبيل سيف الدولة .

ولما قدم سيف الدولة إلى أنطاكية^(٢) قدّم المنبجى إليه ، وأثنى عنده عليه ، [وعرفه منزلته من الشعر والأدب]^(٣) واشترط المنبجى على سيف الدولة أول اتصاله به أنه إذا أنشده مديحه لا ينشده إلا وهو قاعد ؛ وأنه لا يكلف تقبيل الأرض بين يديه ، فتنسب إلى الجنون ، ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط ، وتطلع إلى ما يرد منه ؛ وذلك في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، ولما أنشده قصيدته التي أوطأ :
وفاؤكما كالربع أشجاءه طاسمه^(٤) بأن تسعداً والدمع أشفاه ساجمه^(٥)
وما أنا إلا عاشق ككل عاشق أعق خليليه الصفيين لائمه^(٥)
وقد يتزيًا بالهوى غير أهله ويستصحب الإنسان من لا يلائمه
بليت يلى الأطلال إن لم أقف بها ووقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه^(٦)

(١) ا ، ب : الشمس . تحريف . وقوله « لصاغة » هـ : لصاغة أى فرقة . ويروى : أضاعه . ومعنى البيت : أنه يسبك ضوء الشمس مالا ويجود به .

(٢) أنطاكية بتخفيف الياء : قاعدة العواصم .

(٣) قوله « وعرفه » . إلخ ساقطة من ا وفى ج : وعرفه منزلته من الشعر .

(٤) هو من مطالعه القبيحة لما فيه من التعقيد وخفاء المعنى . أشجاء : اسم تفضيل من شجاء أى أحزنه . الطاسم : الدأرس . تسعدا : تعينا . الساجم : الساكب . المعنى : يخاطب صاحبه فيقول : وفاؤكما بمساعدتي كهذا الربع فإن الربع كلما درس كان أدعى إلى الحزن وكذلك وفاؤكما كلما ضعف وقلت مساعدتكما لي بالبكاء اشتد حزني لفقدى من أتأسى به ، وقوله : « والدمع أشفاه ساجمه » بيان لعذره في البكاء . جاء في العكبري أنه لما أنشد أبو الطيب هذه القصيدة كان ابن خالويه حاضراً ، فقال لأبي الطيب : تقول أشجاء ، وهو شجاء ، فقال له : اسكت ليس هذا من علمك ، إنما هو اسم لأفعل التفضيل .

(٥) المعنى : ما أنا إلا عاشق شأني شأن جميع العشاق ثم بين ذلك بقوله : إن كل عاشق يرى أن أكثر أصفيائه عقوقاً من لاهه في حبه .

(٦) قيل إن للتشبيه في هذا البيت روعة وطرافة جاءا من شدة التوافق بين من يقف بديار الأحبة والشحيح الذي فقد في الترب خاتمه لطول وقوفهما ودقة تأملهما .

قيل : كان أبو العلاء المعري إذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو نواس^(١) كذا ، قال البحترى كذا ، قال أبو تمام كذا ، فإذا أراد المتنبي قال : قال الشاعر كذا ، تعظيماً له . فقليل له يوماً : لقد أسرفت في وصفك المتنبي ، قال : أليس هو القائل :

بكِيتِ بِلَمَى الأطلالِ إن لم أقفُ بها وقوفَ شحيح ضاع في التُّرْبِ خاتمهُ

[فقليل له]^(٢) : كم قدر ما يقف الشحيح على الخاتم ؟ قال : أربعين يوماً
فقليل [له]^(٣) : ومن أين علمت ذلك ؟ قال : سليمان بن داود عليهما السلام
وقف على طلب الخاتم أربعين يوماً . فقليل له : ومن أين علمت أنه بخيل ؟
قال : من قوله تعالى : « وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي » وما كان
عليه أن يهب الله لعباده أضعاف مُلْكه !

وقوف الشحيح

[ومنها]^(٤) :

كثيباً تَوَقَّأني العواذِلُ في الهَوَى كَمَا يَسْتَوَقِّي رِيضَ الخيلِ حازمُهُ^(٥)
قَفِي تَغْرَمِ الأولَى من اللَّحظِ مُهْجِي بَثَانِيَةِ والمْتَلَفِ الشَّيْءِ غارْمُهُ^(٦)

وهذا من قول الخبز أرزى :

إلى كم أذلُّ وأستعطفُ وأنت تجورُ ولا تُنصِفُ
أيا يوسفَ الحسنِ صِلْ مُدْنَفَا مدامِعُهُ لم تنزلْ تَدْرِفُ
أعيذكَ مِنْ ظالمِ غاشمِ سِوَى الخلفِ في الوعدِ لا يعرفُ^(٧)

(١) هو أبو علي الحسن بن هاني الشاعر المشهور كان من أجود الناس بديهة وأرقهم حاشية قال فيه الجاحظ : لا أعرف بعد بشار مولداً أشعر من أبي نواس ولد سنة ١٤١ وتوفي سنة ١٩٥ هـ .

(٢) ما بين المعقوفين عن ح وهامش هـ .

(٣) (له) : ساقطة من أ .

(٤) ساقطة من : أ ، ب .

(٥) ريض الخيل : الصعب الذي لم يركب . حازمه : من يشد حزامه .

(٦) غرم ما أتلفه . لزمه أداؤه . والمغنى : أنه نظر إليها نظرة أتلفت مهجته فيقول لها : قفي

لأنظرك نظرة أخرى ترد مهجتي وتحببها فإن فعلت كانت النظرة الثانية غرماً لما أتلفته النظرة الأولى .

(٧) ح ، د ، هـ : لا تعرف .

ولى مهجة أنت أتلقتَهَا عليك غرامة ما تتلِفُ
وبيت المتنبي فيه زيادة أكسبته^(١) حسناً .

[ومنها]^(٢) :

سَمَّكَ وَحَيَّانَا بِكَ اللهُ إِنَّمَا على العيسِ نَوْرٌ وَالخُدُورُ كَمَاثِمُهُ^(٣)
وما حاجة الأظعانِ حولك في الدُّجَى إلى قَمَرٍ ما واجدٌ لكِ عَادِمُهُ^(٤)

وقال البُحْتَرِيُّ في هذا المعنى :

أضرتْ بضوءِ البدرِ والبدرُ طالعٌ وقامتْ مقامَ البدرِ لما تَغَيَّبَا

وقال الخبزِ أَرْزَى في هذا المعنى^(٥) :

وما حاجة الرِّكَبِ السُّرَّاءِ إِذَا بَدَأَ لهم وجهه ليلاً إلى طَلَعَةِ البدرِ

وأشيدَ في مجلسِ المعتمدِ بنِ عبادِ اللَّخْمِيِّ^(٦) صاحبِ إشبيلية (أعادها
الله كما كانت) ^(٧) قوله منها :

إِذَا ظَفَرْتُ مِنْكَ العيونُ بنظرة أثابَ بها مُعَيِّ المَطِيِّ وَرَازِمُهُ^(٨)

فجعل المعتمد يردده استحساناً له ، وكان في مجلسه^(٩) أبو محمد عبد الجليل

(١) في سائر النسخ : ألبسته . والزيادة التي أشار إليها في بيت المتنبي هي طلبه الوقوف .

(٢) « ومنها » ساقطة من ا ، ب .

(٣) كذا في : ا وفي : ب : سفاك وحياء الله . تحريف . وفي ح ، د ، هـ : سفاك وحياء

الإله وإنما . العيس : الإبل . النور : الزهر الأبيض . الكاثم : أغلفة النور . الخدور : جمع خدر
الستر الذي يشبه الهدج .

(٤) الأظعان : النساء في الهودج . « ما واجد لك عادمه » استئناف معناه أنه من وجدك لم يعدم

القمر لأنك قدر مثله ومثله قول الآخر :

إن بيتاً أنت ساكنه غير محتاج إلى السرج

(٥) سائر النسخ : « وتبعه الخبز أَرْزَى في قوله » وفي نسخة تقديم قول الخبز أَرْزَى على قول البحري

والترتيب الزمني يقتضي تقديم قول البحري :

(٦) المعتمد بن عباد اللخمي : صاحب إشبيلية وقرطبة وأشهر ملوك الطوائف توفى سنة ٤٨٨ هـ .

(٧) « أعادها الله كما كانت » ساقطة من ا .

(٨) أثاب : رجع إليه نشاطه . المعري : الكلليل . الرازم : الساقط لإعياء .

(٩) « وكان في مجلسه » كذا في ا . وكلمة : « مجلسه » سقطت من ب . ح ، د ، هـ : وكان في المجلس .

إنشاد المعتمد
ابن عباد بيت
المتنبي وما قاله
ابن وهبون

ابن وهبون^(١) الأندلسي فأشدد ارتجالاً :

لئن حاد شعر ابن الحسين وإنما
تجيد العطايا واللها تفتح اللها
بنأ عجباً بالقريض ولو درى
بأنك تروى شعره لتألها^(٢)

ومنها في المديح :

له عسكرا خيل و طير إذا رمي
أجلتتها من كل طاغ ثيابه
فقد ملّ ضوء الصبح مما تُغيره
[وملّ القنا مما تدقّ صدوره
سحابٌ من العقبان يزحف تحتها
بها عسكراً لم تبق إلا جمّة ساجمه^(٣)
وموطئها من كل باغ ملاغمه^(٤)
وملّ سواد الليل مما تزاحمه^(٥)
وملّ حديد الهند مما تلاطمه^(٦)
سحاب إذا استسقت سقتها صوارمه^(٧)

ادعاء أن الطير
من جملة الجيش

واعترض على هذا البيت أبو سعيد العميد^(٨) ، حيث قال : « لم يسمع

(١) « ١ » أبو محمد بن عبد الجليل . سائر النسخ : محمد بن عبد الجليل وكلاهما محرف والصواب ما أثبتنا .

(٢) « تجيد العطايا » كذا في ابن خلكان ترجمة المتنبي .

(٣) « ١ » تجر . ب : تخبر تحريف . سائر النسخ : لأجل . . .

(٤) ١ : به عسكرا . والمعنى : أن لسيف الدولة عسكرين : أحدهما خيله والآخر الطير التي تصحبه في الحرب لتقع على القتل فإذا رمى بهما عسكر العدو لم يبق إلا عظام الجاجم لأن عسكر الخيل يقتلهم وعسكر الطير يأكل لحومهم .

(٥) الأجلة : جمع جلال وهو ما يجعل على ظهر الدابة . الملائم : ما حول الفم أي أنه يسلب ثياب كل طاغ من ملوك الروم فيتخذ منها أجلة لخيله ويوطئ حوافرها وجه كل باغ منهم .

(٦) المعنى : أن الصبح ملّ من كثرة إغارتك فيه مباغته للعدو ، وملّ سواد الليل من كثرة مزاحمتك له لأنه لا يكفك عن القتال فكأنك تزاحمه .

(٧) القنا : الرماح . تدق : تكسر . صدور الرماح : أعاليها .

والمعنى : أن الرماح ملّت من طول مقاتلتك بها وتكسرك صدورها في أضلاع الفرسان وملت السيوف من كثرة ما تلاطمها بالرؤوس والبيوت ساقط من أ .

(٨) العقبان : بكسر العين جمع عقاب بضمها وهو طائر في حجم النسر . جعل العقبان الطائرة فوق جيشه سحاباً وجعل جيشه تحتها سحاباً آخر فإذا استسقت سحاب العقبان سقاها سحاب جيشه الدماء التي تريقها سيوفه .

(٩) أبو سعيد العميد شاعر ذكره الثعالبي في تشمة اليتيمة ج ٢ ص ٥٨ ، ٥٩ في جملة شعراء خراسان وهو صاحب الإبانة عن سرقات المتنبي وقد عاش في مصر وتولى ديوان الإنشاء بها واعتراض العميد على أبي الطيب غير وجهه بل إننا نرى في كلام أبي الطيب تجديداً تظهر فيه عبقرية الشاعر فقد ألف الناس =

بأن السحابة تسقى ما فوقها « وجوابه ظاهر (١) . وهذا معنى حوى طرفى الإعجاب والإغراب وقد تجاذبته أفكار الشعراء ، فما جاء منه (٢) قول النابغة :

إذا ما غَزَا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
جَوَانِحَ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ إِذَا مَا التَّقَى الْجَمْعَانَ أَوْلَ غَالِبِ (٣)

وقال أبو نواس :

يَتَوَخَى الطَّيْرُ غَدْوَتَهُ ثِقَّةً بِاللَّحْمِ مِنْ جَزْرِهِ (٤)

وقال مسلم بن الوليد (٥) :

قَدْ عَوَّدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثَقَّنَ بِهِ (٦) فَهِنَّ يَسْتَبَعْنَهُ فِي كُلِّ مُرْتَحَلٍ

= أن السحاب يسقى ما تحته ولكن الشاعر هنا ينبئنا بأن الجيش بضخامته وكثرة رجاله وعدده سحاب من نوع جديد إذا سقى سحاب السماء ما تحته سقى هو ما فوقه وهذا شبيه بقول أبي تمام في وصف المنجنيق حين يقول :

• أرض على سماها درور •

مع أن المألوف أن السماء هي التي تدر على الأرض وتسقط عليها أمطارها ، وأما اعتراض بعضهم بأن الطير لا تستسقى ولكنها تستلعم فردود بأن ذلك جار على عادة العرب في استعارة هذه اللفظة في كل طلب تعظيما لقدر الماء قال علقمة :

وفى كل حى قد خيطت بنعمة فحق لشاس من نذاك ذنوب

فإن ملك الشام كان قد أسر « شاسا » أخا الشاعر فبعث إليه علقمة بأبيات منها هذا البيت يطلب فيه من الملك أن يفك أسر أخيه (والذنوب : الدلو العظيمة فيها ماء) .

وقال رؤبة : يأبها المائح دلوى دونكا إلى رأيت الناس يحمدونكا

وهما لم يستسقى ماء وإنما طلب الأول فك الأسر وطلب الثاني مالا وقد سمي الحيتدى والسائل مستمحين وإنما الميح جمع المائح الماء في الدلو والمائح الرجل الذى ينزل في البئر يملأ الدلو .

(١) تكفل المؤلف ببيان وجه الإغراب والإعجاب فيما يأتي وسنورد كلاما لصاحب الوساطة في هذا المعنى .

(٢) ب ، د ، هـ : به ، ح : فيه .

(٣) هذان البيتان من قصيدة للنابغة في مدح الحارث الغساني مطلعها :

كليني لم يأميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب

(٤) روى البيت بروايات مختلفة وكلها لا تخرج عن المعنى المقصود ولهذا لم نر داعياً للإشارة إليها .

(٥) شاعر مبدع من شعراء الدولة العباسية يلقب بصريع الغواني لقوله :

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا صريع محيا الكأس والأعين النجل

توفى سنة ٢٠٨ هـ .

(٦) في ح ، د ، هـ : بها .

وقد كَرَّره^(١) أبو تمام في شعره ؛ فما جاء له منه :

وقد ظَلُمْتُ عَقْبَانَ أعلامه ضُحَى بعقبان طير في الدماء نواهلِ
أقامت مع الرّآياتِ حتّى كأنها من الجيـشِ إلا أنها لم تقاتلِ

وقال^(٢) :

إذا ذمت الأعداءُ سوءَ صباحِها فليس يؤدّي شكرها الذئب والنسر

وقد ذكّرَ هذا المعنى قديماً وحديثاً وأورده^(٣) بضروب من العبارات غير هؤلاء إلا أنهم جاءوا بشيء واحد لا تفاضل بينهم فيه إلا من جهة حسن السبّك أو من^(٤) جهة الإيجاز في اللفظ ، ولم أر أحداً أغرب في هذا الطريق مع اختلاف مقصده إليها إلا مسلم بن الوليد ، فقال^(٥) :

أشربت أرواح العدا وقلوبها خوفاً فأنفُسُها إليك تطيرُ
لو حاكتك فظالبتك بدخلها شهدت عليك ثعالبٌ ونسورُ

وكذلك فعل أبو الطيّب ، فإنه لما انتهى الأمر إليه سلك هذه الطريقة التي سلكها من تقدّمه ، إلا أنه خرج فيها إلى غير المقصد الذي قصدوه ، فأغرب وأبدع ، وحاز الإحسان بجملة ، فصار كأنه المبتدع لهذا المعنى دون غيره .
فما قال فيه :

يفسدي أتمّ الطير عمراً سلاحه نسورُ الملا أحداثها والقشاعيم^(٦)
وما ضرها خلقت بغير مخابل وقد خلقت أسيافه والقوائمُ

(١) كذا في أوفى سائر النسخ : وقال أبو تمام :

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من سائر النسخ . والضمير في صباحها يعود على الخيل المييرة وقد تقدم ذكرها في أبيات سابقة لهذا .

(٣) كذا في أ ، ب ، وفي سائر النسخ : وأورده على التنازع وإعمال الأول . وأول من طرق هذا المعنى الأئمة الأودى حيث قال :

وترى الطير على آثارنا رأى عين ثقة أن سبار

(٤) كذا في أ ، ب ، وفي سائر النسخ : ومن . . .

(٥) في ح ، د ، هـ : حيث قال :

(٦) القشاعيم : المستة من النسور .

وقال في موضع آخر :

وذى لَسَجَبٍ لا ذو الجناح أمامه بناج ولا الوحشُ المثارُ بسالم^(١)
تمر عليه الشمسُ وهى ضعيفة تطالعهُ من بين ريش القشاعِمِ
إذا ضمَّوْءُها لاقى من الطير فُرْجَةً^٢ تمدَّ ورَّ فوق البَيْضِ مثل الدرَاهِمِ

وهذه من أعاجيب أبي الطَّيِّب المشهودة ، ولو لم يكن له من الإحسان في شعره غير ما لاستحقَّ بها فَضِيلَةَ التَّقْدِيمِ^(٢) .

وقد^(٣) تصرف في هذا المعنى أبو عامر بن أبي مروان بن شهيد الأندلسي ، فقال :

وتدرى سِبَاعُ الطَّيْرِ ان كُما تَمَهُ إذا لَتَقَيْتُ صَيْدَ الكِماةِ سِبَاعُ
تَطِيرُ جِياعاً فوقه وتردُّها ظَبَّاهُ إلى الأوكار وهى شِياعُ

وكذلك أخذهُ أبو بكر العطار* فغربه بعد الابتدال ، فقال :

تظل سباعُ الطير عاكفة بهم^٤ على جُئُثٍ قد سَلَّ أنفُسها الذُّعُرُ
وقد عَوَّضَتْهم من قبور حواصل^٥ فيا من رأى ميتا يطير به قَبْرُ^(٣)

(١) اللجب : اختلاط الأصوات والمراد : وجيش ذى لجب .

(٢) قد وازن صاحب الوساطة بين هؤلاء فقال : وزم كثير من نقاد الشعر أن أبا تمام زاد عليهم بقوله : « إلا أنها لم تقاتل » فهو المتقدم وأحسن من هذه الزيادة قوله : « فى الدماء نواهل » وإقامتها مقام الرايات وبذلك يتم حسن قوله : « إلا أنها لم تقاتل » على أن الأقوى الأودى قد فضل الجماعة بأمرور : منها سبق وهى الفضيلة العظمى والآخر قوله : « رأى عين » فخبير عن قربها لأنها إذا بعدت تخيلت ولم تر وإنما يكون قربها متوقفاً للفريسة .

وهذا يؤيد المعنى ثم قال : « ثقة أن سبار » ولم يجمع هذه الأوصاف غيره .

فأما أبو نواس فإنه نقل اللفظ ولم يزد فيفضل وقال أبو الطيب :

سحاب من العقبان . . . فزاد إذ جعلها سحابتين وجعل السحابة السفلى تسقى ما فوقها وهذا غريب .

• ابن شهيد : من أبلغ كتاب الأندلس وشعرائها ، وكان بارعاً فى أسلوب الرسائل القصصية النادرة المفاىل فى الكتابة العربية وهو صاحب رسالة التوايىع والزوايىع توفى سنة ٤٢٦ هـ .

• هو محمد بن الحسن بن يعقوب بن مقسم ، أبو بكر العطاء المقرئ (٢٦٥ - ٣٥٤ هـ) كان ثقة من أعراف الناس بالقراءات ، وأحفظهم لنحو الكوفيين ، ترجم له معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٥٠ وبنية الوعاة ص ٣٦

(٣ - ٣) ساقط من سائر النسخ .

وآخر القصيدة :

تُحاربُهُ الأعداءُ وهي عباده (١) وتُدَّخرُ الأموالُ وهي غنائمه
ويستكبرون الدهرَ والدهرُ دونه ويستعظمون الموتَ والموتُ خادمه
[وإن الذي سمى عليًّا لمنصفٌ وإن الذي سمَّاه سيفًا لظالمه
وما كلُّ سيفٍ يقطع الهامَ حدُّه وتقطع لزيَّبات الزَّمان مكارمه (٢)]

حسن (٣) موقعه عنده وقربه وأجازه الجوائز السنوية ، ومالت نفسه إليه ،
وأحبه ، فسلمه إلى الرواَض ، فعلموه الفروسية والطراد ، والمثاقفة (٤) .

وصحب (٥) سيف الدولة في عدَّة غزوات إلى بلاد الرُّوم ، ومنها غزوة
الفنا (٦) التي لم ينج منها إلا سيف الدولة بنفسه ، وستة أنفار أحدهم المتنبي ،
وأخذت (٧) الطرق عليهم الروم ، فجرد سيف الدولة سيفه ، وحمل على العسكر ،
وخرق (٨) الصفوف ، وبدد الألوَف . وحكى الرقي (٩) عن سيف الدولة قال : كان المتنبي
يسوق فرسه ، فاعتقلت (١٠) بعمامته . طاقة من الشجر المعروف بأَم غيَـلان (١١)
فكان كلما جرى الفرس انتشرت العمامة ، وتخيل المتنبي أن الروم قد ظفرت به ،
فكان يصيح الأمان يا عِـلج (١٢) قال (١٣) سيف الدولة : فهتفتُ به وقلت : أيا عِـلج ؟

غزوة الفنا

توهم المتنبي
الشجرة رجلا

(١) في هامش هـ عن نسخة « عبيد » .

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من « أ » . والهام : الرووس واحدة هامة . اللزيات : الشدائد ، وفي
هذا البيت تعليل للشطر الثاني من البيت السابق .

(٣) حسن موقعه : جواب « لما » في كلام سابق : ولما أنشده قصيدته التي أوطأ وفاؤكما . . . ص ٧١ .

(٤) المثاقفة : المغالية ، ثقافته فثقفه « كنصر » : غالبه فغلبه .

(٥) ب : وحكى سيف الدولة تحريف . سائر النسخ : وحكى أنه صحب . . .

(٦) هـ ، د ، ح : الفنا تحريف . الفنا : مقصور الفناء لأن الغزوة فني فيها الجيش إلا سبعة
نفر منهم سيف الدولة .

(٧) هـ : وأخذ .

(٨) هـ : وفرق .

(٩) لعله أبو الحصين الرقي قاضي حاب ، ومن شعراء سيف الدولة .

(١٠) هـ ، د ، ح : فاعتقلت . تحريف .

(١١) أم غيـلان : شجر السم .

(١٢) العلج : اسم يطلق على غير المسلم من العجم .

(١٣) ب : فقال .

هذه شجرة عكقت بعمامتك فود أن الأرض غيبته . فقال له ابن خالويه (١) :
أيها الأمير أليس أن (٢) ثبت معك حتى بقيت في ستة أنفار تكفيه هذه الفضيلة ؟

وحكى أن السرى الرّفاء (٣) حين قصد سيف الدولة أنشدته بديهاً :

إني رأيتك جالساً في مجلس قعد الملوكُ به لديك وقاموا
فكأنك الدهرُ المحيطُ عليهم (٤) وكأنهم من حولك الأيامُ

ثم أنشدته بعد ذلك ما كان قاله فيه من الشعر ، وبعد ثلاثة أيام أنشدته المنبجي
قصيدة قافية ، فأمر له بفرس وجارية ، وأول القصيدة :

أيدري الريحُ أيّ دم أراقنا وأيّ قلوب هذا الركب شاقنا (٥)
لنا ولأهله أبداً قلوبٌ تتلاقى في جسوم ما تتلاقى (٦)
وما عفت الرياحُ له محلاً عفاهُ مَنْ حذا بهم وساقنا (٧)
فليت هوى الأحبة كان عدلاً فحمل كل قلب ما أطاقنا

(١) ابن خالويه هو أبو عبد الله الحسين بن خالويه النحوي اللغوي أصله من هذيان ودخل بغداد فأدرك أفاضل العلماء بها وانتقل إلى الشام واستوطن حلب وصار بها أحد أفراد الدهر في فنون الأدب وكانت إليه الرحلة من الآفاق وآل حمدان يكرمونه ويدرسون عليه ويقتبسون منه وتوفي بحلب سنة ٣٧٠ هـ .
(٢) الأصل : أنه .

(٣) هو أبو الحسن بن أحمد الموصل الشاعر المشهور كان في صباه يرفو ويطرز في دكان بالموصل وهو مع ذلك يتولع بالأدب وينظم الشعر ، قصد سيف الدولة بحلب وأقام عنده مدة ثم انتقل بعد وفاته إلى بغداد ومدح الوزير المهلبى ونفق شعره وراج وكان شاعراً مطبوعاً عذب الألفاظ مليح المأخذ كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف ومن شعره يذكر صناعته :

وكانت الإبرة فيما مضى سائنة وجهي وأشعاري
فأصبح الرزق بها ضعيفاً كأنه من ثقبها جاري

وتوفي بعيد سنة ٣٦٠ هـ .

(٤) ح ، د ، هـ : لديهم .

(٥) الاستفهام للاستظام يقول : أيدري هذا الريح بما فعل من إراقة دمي وما هاج في قلبي من الشوق يذكر الأحبة ؟

(٦) تلاقى : تتلاقى . وما تلاقى : ما نافية يقول : لنا ولأهله الراحلين قلوب يتلاقى بعضها ببعض وهي متباعدة الجسوم .

(٧) عفت الرياح الأثر : درسته ومحته يقول : إن الريح لم تمح هذا الريح ولكن الذي محاه من ساق الإبل بأهله حتى فارقه .

نظرتُ إليهمُ والعينُ شكْرِي
وقد أخذ التمامَ البدرُ فيهمُ
وبين الفزعِ والقدمين نُورُ
وطرفُ إن سقى العشاقُ كأساً
فصارت كلها للدمعِ ماقا (١)
وأعطاني من السقمِ المحاقا (٢)
يقود بلا أزمتهَا السِّياقا (٣)
بها نقصُ سقّانِيها دهاقا (٤)

قال (٥) : فلما قال :

وخصرُ تثبتُ الأبصارُ فيه كأنَّ عليه من حدَقِ نِطاقِ

• فقال السريّ هذا والله معنّى ما قدّر عليه المتقدمون. وما (٦) يقال من أنه حمّ في الحال حسداً ، وتحاملّ إلى منزله ، ومات بعد ثلاثة أيام ، فلا صحة له ، لأن السريّ مات بعد المتنبّي وسيف الدولة . على أن السريّ قد استعمل هذا المعنى بقوله (٧) :

أحاطتْ عيُونُ العاشقين بخصرِهِ فهنَّ له دون النطاقِ نِطاقُ

وحكى صاحب المفاوضة (٨) قال : كان سيف الدولة يميل إلى أبي العباس النامي (٩) الشاعر ميلاً شديداً إلى أن جاءه المتنبّي ، فقال عنه إليه ، فعاظ ذلك

(١) شكري : ملائى بالدمع . د : سكري . تحريف . الماق : طرف العين مما يلي الأنف .
(٢) المحاقا : مثلثة الميم آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره .
(٣) الفزع : الشعر . والمراد بالنور وجه الحبيبة .
(٤) دهاقا : مثلثة . وأراد أن طرفه يبعث على سكر الهوى فشبهه بالخمر واستعار له كأساً والمعنى أنه أعشق العشاق .

(٥) « قال » عن ح ، د ، ه . « لا يستقيم الأسلوب مع الفاء .
(٦) « وما يقال من أنه حم في الحال » كذا في الأصل وصوابه : وما يقال . . . وفي سائر النسخ ثم إنه حم في الحال . . .
(٧) ح : على أن السريّ قد استعمله .
سائر النسخ : على أن السريّ قد استعمله بقوله .

(٨) صاحب المفاوضة : أبو الحسن محمد بن علي بن نصر المالكي عاش في نهاية القرن الرابع وأول الخامس الهجري وصنف كتاب المفاوضة للملك العزيز جلال الدولة كما في كشف الظنون ص ١٧٥٨ - ٢٠٨ .
(٩) هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمي المعروف بالنامي كان من الشعراء البارزين في عصره ، ومن خواص مداح سيف الدولة ، وكان يلي أبا الطيب في المنزلة والترتبة وله معه وقائع ومفاوضات . توفي سنة ٣٧٠ هـ على المشهور .

أبا العباس ، فلما كان ذات يوم خلا به وعاتبه وقال : أيها الأمير ، لِمَ تفضل^(١) على ابن عيّدان السقا ؟ فأمسك سيف الدولة عن جوابه ، فلجّ وألحّ ، وطالبه بالجواب فقال : لأنك لا تحسن أن تقولَ كقوله :

يعودُ من كل فتح غير مفتخرٍ وقد أغدّٰ إليه غير محتفلٍ^(٢)

فنهض من بين يديه مُغضبًا ، واعتقد^(٣) ألاّ يمدحه أبدًا . وأبو العباس

حمد النسي
للمعنى

هذا هو القائل :

كان قد بقي في الشعر زاوية دخلها المتنبى ، وكنت أشتهى أن أكون سبقته

إلى معنيين فالهما ما سبق إليهما . أما أحدهما فقوله :

رَمَانِي الدهرُ بالأرزاءِ حتّى فُؤادى في غشاء من نبال

فصرت إذا أصابتنى سهام تكسرت النصالُ على النصالِ^(٤)

والآخر قوله :

في جحفل^(٥) ستر العيون غبارُه فكأنما يُبصِرَنَ بالآذانِ

واستَنشَدَ سيف الدولة أبا الطيّب يوما قصيدته التي مدحه بها ، وقد

سار لبناء الحدث^(٦) ، وذكر إيقاعه بالدمُستق عليها^(٧) ، وكشفه له ، وقتله

(١) كذا في الأصل وفي سائر النسخ : الأمير لم يفضل غير ب فإنها : تفضل .

(٢) كذا في الديوان وقد حرف البيت في جميع النسخ .

(٣) اعتقد ألا يمدحه : عاهد نفسه .

(٤) كذا في الأصل والديوان وروى في سائر النسخ بروايات مختلفة وهو وما قبله من قصيدة

يرثي بها والدة سيف الدولة مطلعها :

نعد المشرفة والمعوالى وتقتلنا المذون بلا قتال

(٥) كذا في ا والديوان وهامش ه عن نسخة . وفي سائر النسخ « محفل » .

والبيت في وصف الخليل يقول : إن الغبار الذي أثارته الخليل بجوافرها قد منع أبصارها أن تبصر فهي

تسمع الأصوات بأذنانها وتفعل ما يقتضيه الصوت فكأنها تبصر بأذنانها .

(٦) الحدث : بلد بالروم كان أهلها قد سلموها لأمير الروم (الدمستق) وقائد جيوشها بالأمان

فسار إليها سيف الدولة ليستردها ويبني قلعها فنزلها يوم الأربعاء ثامن عشر من جهادى الآخرة سنة ٤٣٤ هـ

وبدأ من يومه فوضع الأساس وحفر أوله بيده فلما كان يوم الجمعة نازله الدمستق فحمل عليه سيف الدولة

في خمسة آلاف من جنده فظفر به وقتل ثلاثة آلاف من رجاله وأسر خلقاً كثيراً وأقام حتى بنى الحدث وفرغ

من ذلك يوم الثلاثاء تاسع رجب سنة ٣٤٣ هـ فقال المتنبى هذه القصيدة يمدحه بها .

(٧) « عليها » ساقطة من سائر النسخ ولعله يريد الولى عليها .

خلقاً من أصحابه وأسرّه صِهْرَه وابن بنته ، وإقامته على الحدّث إلى أن بناها ،
وذلك في يوم الثلاثاء لتسع خلون من رجب سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، وأولها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرامِ المكارمُ
وتعظمُ في عينِ الصغيرِ صِغارُها وتصغر في عينِ العظيمِ العظائمُ

ومنها (١) :

هل الحدّث الحمراء تعرفُ لونها وتعلمُ أيُّ الساقيين الغمامُ (٢)
سقتها الغمامُ الغرُّ قبل نزوله فلما دنا منها سقتها الجحائمُ
بناها فأعلى (٣) ، والقنا يقرعُ القننا وموجُ المنايا حولها متلاطمُ
وكان بها مثلُ الجنونِ فأصبحتُ ومن جثت القتلى عليها تمامُ (٤)
طريدةُ دهرٍ ساقها فرددتها على الدينِ بالخطى والدهرِ راغيمُ
تفتتُ اللبالي كلُّ شيءٍ أخذته وهن لما يأخذن منك غوارمُ (٥)
إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلتقى عليه الجوازمُ (٦)
وكيف ترجى الرومُ والروسُ هدمها وذا الطعنُ أساسُ لها ودعائمُ
وقد حاكموها والمنايا حواكمُ فما مات مظلومٌ ولا عاش ظالمُ
أتوك يجرُّون الحديدَ كأنما سرّوا بيجاد ما هن قوائمُ

(١) كذا في : اوهى ساقلة من سائر النسخ ووجودها أفضل لأن الأبيات غير متتابعة .

(٢) في قوله « أي الساقين الغمام » ما يسمى بالاكتفاء أراد أي الساقين الغمام أم الجحائم فحذف الأخير اكتفاء بالأول ومعنى البيت : هل تعرف هذه القلعة لونها الأول قبل أن لوتت بالدم وهل تعلم أي الساقين لها أجاجم الروم التي سقتها بالدم أم السحاب التي سقتها قبل ذلك بالمطر يعني أن الجحائم أجرت عليها من الدماء مثل ما أجرت عليها السحاب من الماء .

(٣) الديوان وهامش ه عن نسخة : فأعلى وجميع النسخ : على

(٤) قال أبو الطيب : ما رد على أحد شيئاً قبلته إلا سيف الدولة فإني أنشدته :

ومن جيف القتلى . . فقال : مَهْ قل : ومن جثت القتلى . . .

(٥) المعنى : إذا سلبت اللبالي شيئاً أكرهتها على تركه لضعفها عن استرداده منك وهي إذا أخذت منك شيئاً غرمته لأنك ترغها على رده .

(٦) المعنى : إذا نويت فعلاً في المستقبل تحقق حتى كأنه ماضٍ من غير أن يضم إليه شيء يحوله إلى الماضي فلو أنك نويت فعلاً مضارعاً خالصاً للاستقبال لتحول زمنه إلى الماضي من غير أن تسبقه علامة جزم تحوله إلى الماضي كحرف لم والمنتبى هنا يتخذ من النحور وسيلة إلى تصوير بعض معانيه ، وهو مذهب جرى عليه المحدثون ، ولا بأس بالقليل منه لطرافته .

إذا برَقوا لم تُعَرَفِ البيضُ منهمُ
 خَمِيسٌ بِشَرِقِ الأَرْضِ والغربِ زحفُهُ
 تَجْمَعُ فِيهِ كُلُّ لِسْنٍ وَأُمَّةٍ
 فَلَهُ وَقْتُ ذَوْبِ الغَشِّ نارُهُ
 تقطع ما لا يَقْطَعُ الدرعَ والقنا
 ثيابُهُمُ من مثلها والعمائمُ
 وفي أذنِ الجوزاءِ منه زَمَازِمُ
 فما يُفْهَمُ الحُدَاثَ إلا التراجيمُ
 فلم يَبْتَقِ إلا صارمٌ أو ضَبَّارمُ
 وفرٌّ من الفُرْسانِ من لا يُصَادِمُ

• وهذه الأبيات الأخيرة من أحسن ما قيل في الجيوش الكثيرة، وكذلك ورد قول أبي تمام من قصيدة يمدح بها المأمون :

فنهضتَ تسحبُ ذيلَ جيشِ ساقه
 مُتَعَنِّجٌ لَجِبٌ ترى سَلَّافَهُ
 ملاً المَلَا عَصَباً فَكادَ بأن يُرَى
 لا خَلْفَ فِيهِ ولا لَه قُدَّامُ
 حُسْنُ اليقينِ وقادهُ الإقدامُ
 ولم يَمْنَحْ رِقَ الفِضاءِ زحامُ

يقال : اثعنجرت العين دمعاً ، واثعنجر دمعها ، وهو انصباب الدمع وتتابعه ، ولجِب كثير الأصوات ، والسَلَّاف : المتقدمون ، والملا مقصوراً : ما اتسع من الأرض .

وقال النَّابِغَةُ (١) في عظم الجَيْشِ :

بَحْرٌ يَظَلُّ لَه الفِضاءُ مُعَضَّلاً
 ومُعَضَّلٌ : من قولم عَضَّلَتِ المرأةُ عند الولادة : إذا عَسَّرَ خروجَ الولدِ .
 يَنْدَرُ الإِكَّامُ كَأَنَّهُنَّ صَحَارِي

وقال مالك المازني (٢) :

يَجِيشُ لِهَامٍ يَشْغَلُ الأَرْضَ جَمْعُهُ
 على الطَّيْرِ حتى ما يَجِدُنَ مَنَازِلًا (٣)

• ابتداء من هذا النجم زيادة من الأصل .

(١) يريد به النابغة الذبياني من كبار الشعراء في الجاهلية ، والبيت من قصيدة يهجو بها زُرعة بن عمرو لما بلغه أن زُرعة يتوعد ، وفي بعض نسخ الديوان : جمعا بدل بحر .

(٢) مالك المازني هو مالك بن الربيع من مازن تميم كان ظريفاً أديباً فاتكاً واتصل بسميد بن مروان وغزا معه في خراسان وبها مات ، وهو القائل في رثاء نفسه قيل أن يموت بسنة قصيدته المشهورة التي أولها :

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلته
 بجنب الغضا أزجي القلاص التواجيا
 وهي من أروع مرثي العرب .

(٣) جيش لهام : كثير يلهم كل شيء .

وقال البحترى :

يجمع تَرَى فيه النهارَ قَبيلةً إذا سار فيه والظلامَ قبايلاً (١)

وقال سلم الخاسر (٢) :

وكنايب تغشى العيون إذا جَرَى
وتفرقت زُرُقُ الأسننة فيهمُ
نزلتْ نجومُ الليل فوق رؤوسهم
ولكل رأس كوكبٌ وهَاجُ

وقال مُسلم :

في عسكر تشرقُ الأرضُ الفضاءُ به كالليل أنجمُه القُضبانُ والأسلُ (٣)

ولما بلغ المتنبي إلى قوله (٣) :

وقفتَ وما في الموت شكٌ لواقفٍ
تمرُّ بكَ الأبطال كَلَمسى تتزيمَةٌ
قال سيف الدولة : قد انتقدتُهما عليك كما انتقد على امرئ القيس
قوله :

كأنى لم أركبُ جَواداً اللدَّة
ولم أسبأ الزقَّ الروى ولم أقلُّ
ولم أتبطنُ كاعباً ذات خلخال (٥)
لخيلى كُرى كَرَّةً بعد إجمال (٦)

فَبَيْتَاك لم يلتئم شطراهما ، كما لم يلتئم شطرا بيتى امرئ القيس ، وكان

(١) من معاني القبيلة : جزء الشيء الذى قد ينفصل عنه . يقول : إن النهار مع عظمه جزء من هذا الجيش وإن الظلام أجزاء منه .

(٢) سلم الخاسر هو سلم بن عمرو الحميرى قدم بغداد ومدح المهدي والهادى والبرامكة ولقب بالخاسر لأنه كما يقال باع مصحفاً واشترى به ديوان شعر ، وكان جيد الشعر رقيقه .

• ما بين النجمين في هذه الصفحة وسابقتها ساقط من سائر النسخ .

(٣) في سائر النسخ : « قلما بلغ إلى قوله »

(٤) كلمى : مكلومة أى جريئة جمع كلمٍ والبيت من قول مسلم :

يفتر عند اقتراب الحرب مبتسماً إذا تغير وجه الفارس البطل

(٥) أتبطن : أحتضن .

(٦) سبأ الحمر : اشتراها . الزق : وعاء الحمر . الروى : الذى يروى ويشيع . الإجمال : النفور .

ينبغي له أن يقول :

كأني لم أركب جواداً ولم أقل
ولم أسبأ الزق الروي للذة
لخيل كرمي كربة بعد إجمال
ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

وكذلك كان ينبغي أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف
تمر بك الأبطال كسماي هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم
كأنتك في جفن الردي وهو نائم

فقال المتنبي : إن صح أن الذي استدرك على امرئ القيس هذا هو^(١)
أعلم بالشعر منه^(٢) فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا ، ومولانا يعلم أن الثوب^(٣)
لا يعلمه البراز كما يعلمه الحائك لأن البراز يعلم جملة ، والحائك يعلم
تفاصيله ، وإنما قرن امرؤ القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد ، والشجاعة
في منازلة الأعداء بالساحة في شراء الخمر للأضياف للتضاييف بين كل من
الفريقين^(٤) ، وكذلك لما ذكرت الموت في صدر البيت الأول أتبعته بذكر الردي
في آخره ليكون أحسن تلاؤماً^(٥) ، ولما كان وجه الجريح المنهزم عبوساً ،
وعينه باكية قلت : (ووجهك وضاح وثغرك باسم) ، لأجمع بين الأضداد في
المعنى . فأعجب سيف الدولة كلامه^(٦) .

قال ابن جني : حدثني أبو علي الحسين بن أحمد الفسوي قال : خرجت
بحلب أريد دار سيف الدولة ، فلما برزت من السور إذا أنا بفارس متلم قد
أهوى نحوى برمح طويل ، وسدده إلى صدرى ، فكدت أطرح نفسى عن
الدابة ، فحسرت لثامه ، فإذا المتنبي ، وأنشد :

(١-١) - ، د : « وهو أعلم بالشعر مني » .

(٢-٢) كذا وردت العبارة في جميع النسخ غير ح ففيها اضطراب وتحريف وقد أوردتها
العكبري كذلك .

(٣) سائر النسخ : تلازما .

(٤) زاد بعض النسخ المطبوعة بعد قوله : « فأعجب سيف الدولة كلامه » هذه العبارة : ووصله
بخمسين ديناراً من دنانير الصلات وفيها خمائة دينار .

نُثِرَتْ رُءُوسًا بِالْأَحْيَادِ مِنْهُمْ كَمَا نُثِرَتْ فَوْقَ الْعَرُوسِ الدَّرَاهِمُ (١)

ثم قال : كيف هذا القول ؟ أحسن هو ؟

فقلت : ويحك : قد قستكنتي يا رجل . قال ابن جني : فحكيت هذه

الحكاية لأبي الطيب بمدينة السلام ، فعرفها ، وضحك منها] *

قال (٢) ابن بآبناك (٣) : حضر المتنبي مجلس أبي أحمد بن نصر البازيار (٤) ،

وزير سيف الدولة ، وهناك أبو عبد الله بن خالويه (٥) النحوي ، فماريا في

أشجع السلمى (٦) وأبي نواس البصري ؛ فقال ابن خالويه : أشجع أشعر ،

إذا قال في هارون الرشيد (٧) :

وعلى عدوك يابن عم محمد رصدان : ضوء الصبح والإظلام

فإذا تنبّه رعتّه وإذا غفا سلّت عليه سيوفك الأحلام

فقال المتنبي : لأبي نواس ما هو أحسن في بني برمناك (٨) :

لم يظلم الدهر إذ توالّت فيهم مصيباته دراكا

كانوا يُجَيرون من يعادي منه فعاداهم لذكاء

(١) هذا البيت من الميمية السابقة : على قدر أهل العزم . . . والمخاطب به سيف الدولة ونصه

كما في الديوان :

نثرهم فوق الأحياد كله كما نثرت فوق العروس الدراهم

والضمير في : نثرهم يعود على جيش الروم والأحياد : جبل . وكان المتنبي قد أجرى البيت على لسانه

مدحا لنفسه .

* ما بين المعقوفين في هذه الصفحة وسابقتها ساقط من سائر النسخ .

(٢) سائر النسخ : وقال . بزيادة واو .

(٣) هو أبو القاسم عبد الصمد بن منصور بن الحسن بن بابك أحد الشعراء المحيدين المكثرين

توفي ببغداد سنة ٤١٠ هـ وقد لقي المتنبي في حلب حينما كان المتنبي مختصا بسيف الدولة .

(٤) كان وزير سيف الدولة ونديمه وأصله من خراسان مات بحلب في حياة سيف الدولة سنة ٣٥٢ هـ .

(٥) تقدمت ترجمته في ص ٧٩ .

(٦) شاعر عباسي نشأ بالبصرة معدود من الفحول وقد انقطع إلى البرامكة ومدحهم وبهم اتصل

بالرشيد وله فيه المدائح السنية .

(٧) هو أحد الخلفاء العباسيين المشهورين بالفضل والفصاحة والكرم كان يحب الشعراء ويميل

إلى أهل الأدب والفقهاء بوعيم بالخلافة سنة ١٧٠ هـ وتوفي بطوس سنة ١٩٣ هـ .

(٨) هم من أهل فارس عميهم خالد بن برمك وابنه يحيى وولده الفضل وجعفر اللذان وزرا للرشيد

وقد ذاع صيت البرامكة في الكرم والفصاحة والفضل حتى خيف على الدولة من نفوذهم فقتلهم الرشيد .

ما جرى بين
المتنبي وبين
ابن خالويه

الأسباب التي
أوجبت مفارقتها
سيف الدولة

قال عبدُ المحسنِ عليّ ابنُ كوجك^(١) : إن أباه حدثه قال : كنتُ بحضرة سيف الدولة وأبو الطيب اللغوي^(٢) ، وأبو الطيب المتنبى ، وأبو عبد الله بن خالويه النحوي ، وقد جرت مسألة في اللغة تكلم فيها ابنُ خالويه مع أبي الطيب اللغوي ، والمتنبى ساكت ، فقال له سيف الدولة : ألا تتكلم يا أبا الطيب ، فتكلم فيها بما قَوَى حجة أبي الطيب اللغوي ، وضعف قول ابن خالويه .

فأخرج من كُمه مفتاحاً حديداً ليلكم به المتنبى ، فقال له المتنبى : اسكت ويحك ، فإنك أعجمي ، وأصلك خوزي^(٣) ، فما لك وللعربية ؟ فضرب وجه المتنبى بذلك المفتاح فأسال دمه على وجهه وثيابه ، فغضب المتنبى من ذلك ، إذ لم ينتصر له سيف الدولة لا قولاً ولا فعلاً ، فكان ذلك أحد أسباب فراقه سيف الدولة .

قال ابن الدّهان^(٤) في المآخذ الكنديّة من المعاني الطائفة : إنه قال أبو فراس^(٥) لسيف الدولة : إن هذا المتمشّدق^(٦) كثير الإدلال عليك ، وأنت تعطيه كل

(١) - ، د ، ه : كيوجك ، ب : عبد المحسن بن علي بن كوجك . مات سنة ٤١٦ هـ ، وقد روى معلومات عن أبيه الذي مات سنة ٣٥٩ هـ والذي عرف المتنبى شخصياً في حلب .

(٢) أبو الطيب اللغوي : عبد الواحد بن علي الحلبي صاحب التصانيف الجليلة أصله من عسكر مكرم قدم حلب وأقام بها إلى أن قتل في دخول الهمستق سنة ٣٥١ هـ .

(٣) الخوز : أهل خوزستان ونواحى الأهواز بين فارس والبصرة وواسط ، ويقال إن معنى الخوز الفعل ، ويقال إنهم ألام الناس وأسقطهم نفساً . روى أن كسرى كتب إلى بعض عماله : ابعث إلى بشر طعام على شر الدواب مع شر الناس فبعث إليه برأس سمكة مألحة على حمار مع خوزى . وروى عن علي أنه قال ليس في ولد آدم شر من الخوز . ولم يكن منهم نجيب . ياقوت .

(٤) ابن الدهان هو أبو محمد سعيد بن المبارك البغدادي كان عالماً فاضلاً نبهاً ذنبلاً ، له معرفة كاملة بالنحو ، وباع مبسوطة في الشعر (٤٩٤ - ٥٦٩) هـ وتوفى بالموصل وله كتاب اسمه الرسالة السعيدية في المآخذ الكنديّة من المعاني الطائفة ، ويريد بالمآخذ الكنديّة ما سرقه أبو الطيب المتنبى وسماها الكنديّة لأن المتنبى كندى ويريد بالمعاني الطائفة معاني أبي تمام لأنه طائى . وهذه الرسالة مفقودة كبقية كتبه .

(٥) أبو فراس من أسرة بنى حمدان وابن عم سيف الدولة وكان فريد عصره في الأدب والكرم والشجاعة ، وله شعر جيد سهل . وقال الصاحب بن عباد : بدئ الشعر بملك وختم بملك يعنى بالأول امرأ القيس وبالثنائي أبا فراس ، وكان المتنبى يشهد له ويخشاه ، مات قتيلاً سنة ٣٥٧ هـ .

(٦) حرفت في سائر النسخ .

سنة ثلاثة آلاف دينار ، عن (١) ثلاث قصائد ، ويمكن أن تفرّق مائتي دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام ، وعمل فيه ، وكان المتنبي غائباً ، وبلغته القصة فدخل على سيف الدولة ، وأنشد :

ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتبا فداه الوري أمضى السيوف مضارباً
ومالى إذا ما اشتقت أبصرت دونه تنائف لا أشتاقهما وسباسياً (٢)
وقد كان يبدئي مجلسي من سمائه أحادث فيها بدرها والكواكب
حنانتيك مسئولاً وليبك داعياً وحسبي مودوباً وحسبك واهيباً (٣)
أهذا جزاء الصدق إن كنت صادقاً أهذا جزاء الكذب إن كنت كاذباً
وإن كان ذنبي كلّ ذنب فإنه محا الذنب كلّ المحوم جاء تائباً (٤)

فأطرق سيف الدولة ولم ينظر إليه كعادته ، فخرج المتنبي من عنده متغيراً ، وحضر أبو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في الواقعة في حق المتنبي ، وانقطع يعمل القصيدة التي أولها :

واحر قلباه ممن قلبه شبيب ومن بجسمى وحالى عنده سقيم (٥)

(١) ا ، ب : عن . ح ، د ، هـ : على .

(٢) التنايف جمع تنوفة وهي المفازة الواسعة . السباس : الفلوات .

(٣) حنانيك : كلمة استعطاف أى حناناً بعد حنان .

(٤) جاء في ديوان المتنبي طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر في سبب إنشاد هذه القصيدة كلام طويل نجمله فيما يأتي : كان سيف الدولة يغضب إذا تأخر عنه مدح المتنبي ؛ فكان يغرى من يتعرض له بما لا يحب ، وكان المتنبي يقابل هذا بالإعراض والمبالغة في التمتع فيزيد ذلك من غيظ سيف الدولة ، ولما زاد الأمر وتكرر هذا الفعل اضطرب المتنبي أن ينشد سيف الدولة في محفل من العرب والعجم قصيدته التي مطلعها :

واحر قلباه من قلبه شبيب ومن بجسمى وحالى عنده سقيم

(وستأتى بعد) وفيها من الإدلال ، والفخر بنفسه ، والتعريض بشائفيه ما زاد حفيظتهم عليه حتى قال أحدهم لسيف الدولة : أتركني أسمي في دمه ، ثم أرسدوا له رجلاً ليفتالوه ، ولكنه نجا منهم بشجاعته ، فاستمانوا بأبي العشائر فأرسل عشرة من غلمانه وقفوا بباب سيف الدولة، وأرسلوا إلى أبي الطيب على لسان سيف الدولة ليحضر لعلهم يظفرون به ، ولكنه نجا أيضاً ، واتصل في اليوم الثاني بسيف الدولة الذي أظهر أنه لم يكن على علم بكل ما دبر للمتنبي وأنشده هذه القصيدة : هـ ألا ما لسيف الدولة اليوم عاتباه

(٥) شيم : بارد . ومعنى البيت : أنه يتدب حظه مع من لا يأبه له مع شغفه به ويقول :

إنه عليل الجسم لفرط ما يعانى سقيم الحال عنده لفساد اعتقاده فيه

وجاء وأنشدها ، وجعل يتظلم فيها من التقصير في حقه كقوله :
 مالى أكتّم حبيباً قد برى جسدى • وتدعى حياً سيف الدولة الأمم
 إن كان يجمعنا حباً (١) لغرته فليت أننا بقدر الحب نقتسم
 قد زرتُه وسيوفُ الهندِ مغمدةٌ وقد نظرتُ إليه والسيوفُ دمٌ

فهم جماعة بقتله في حضرة سيف الدولة ؛ لشدة إدلاله وإعراض سيف الدولة
 عنه ، فلما وصل في إنشاده إلى قوله :
 يا أعدلَ الناسِ إلاّ في معاملتي فيك الحِصامُ وأنتَ الحِصمُ والحكْمُ

فقال أبو فراس : مسختَ قول دِعْبِل (٢) وادّعيته وهو :
 ولستُ أرجو انتصافاً منك ما ذرّفتُ عيني دموعاً وأنتَ الحِصمُ والحكْمُ
 ما جرى بين المتنبي وأبي فراس

فقال المتنبي :
 أعيدُها نظراتٍ منك صادقةٌ أن تحسبَ الشحمَ فيمن شحمه ورمٌ

فعلم أبو فراس أنه يعنيه ؛ فقال : ومن أنت يا دعى كيندة حتى تأخذ
 أعراض أهل الأمير في مجلسه ؟ فاستمر المتنبي في إنشاده ولم يرد إلى أن قال :

سيعلمُ الجمعُ ممن ضمّ مجلسنا بأننى خيرٌ من تسعى به قدّمُ
 أنا الذى نظر الأعمى إلى أدبى وأسبعتُ كلماتى من به صمّمُ (٣)

فزاد ذلك غيظاً في أبي فراس ، وقال : سرتَ هذا من عمرو بن عروة بن
 العبد (٤) في قوله :

أوضحتُ من طرُقِ الآداب ما اشتكلتُ دهرًا وأظهرتُ إغرابا وإبداءا

(١) ا ، ب ، ج : إن كان يجمعنا حبا . . .

(٢) كان شاعراً جيد الشعر مولماً بالهجاء ، ولد بالكوفة وأقام ببغداد وتوفى سنة ٢٦٤ هـ .

(٣) كان المعرى إذا أنشد هذا البيت قال : أنا الأعمى . . .

(٤) عمرو بن عروة بن العبد الكلبي : ذكره العميدى في الإبانة ص ٥ ، ولم نثر على هذا الاسم

بنصه وإنما رأينا في معجم الشعراء ص ٢٣٨ من اسمه : عمرو بن عروة بن الفداء الكلبي الإجدارى ،
 ولا ندرى أهو المقصود أم غيره ؟

حتى فتحتُ بإعجازِ خُصِصْتُ بهِ للعُمىِ والصُّمِّ أبصاراً وأسماءاً
ولما وصل إلى قوله :

والخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفني والحربُ والضربُ والقرطاسُ والقلمُ^(١)
قال أبو فراس : وما أبقيتَ للأمير ، إذا وصفتَ نفسك بالشجاعةِ والفصاحةِ ،
والرياسةِ والسماحةِ ، تمدحَ نفسك بما سرقته من كلامِ غيرك وتأخذَ جوائزَ الأمير ؟
أما سرتَ هذا من [قول] ^(٢) المهيمِ بنِ الأسودِ التَّخَعِي الكُوفِي المعروف بابنِ
العريانِ العُماني^(٣) ، وهو :

أعاذلتي كم مَهَمَه قد قطعتهُ أليفَ وحوشٍ ساكناً غيرَ هائبِ
أنا ابنُ الفسلا والطعنِ والضربِ والسُرىِ وجُرْدِ^(٤) المذآكبي والقننا والقواضبِ
حليمٌ وقورٌ في البوادي^(٥) وهيبى لها في قلوبِ الناسِ بطشُ الكنايبِ
فقال المتنبي :

وما انتفاعُ أخى الدنيا بناظره إذا استوتَ عندَه الأنوارُ وظلَّمُ
قال أبو فراس : وسرتَ هذا من معقلِ العجلى^(٦) ، وهو :
إذا لم أُمَيِّرَ بين نورٍ وظلِّمةٍ بعينى فالعينان زورٌ وباطلٌ
ولمحمد^(٧) بن أحمد بن أبي مرة المكي مثله ، وهو :
إذا المرءُ لم يدركْ بعينه ما يُرى فما الفرقُ بين العُمى والبُصراءِ

(١) الديوان : والسيف والرمح والقرطاس والقلم . وقد سبقه أبو عبادة إلى هذا المعنى فقال :
اطلبوا ثالثاً سوى فاني رابع العيس والدجى والبيد

(٢) ساقطة من الأصل .

(٣) كان إلى شاعريته من رواة الحديث (ذكره الخزرجي في الخلاصة) .

(٤) سائر النسخ : جود المذاكي . تحريف .

(٥) - ، د ، ه : البلاد .

(٦) معقل العجلى : هو معقل بن عيسى أخو أبي دلف العجلى قال عنه ابن النديم : شاعر مقل

(الفهرست ٢٣٤ طبعة مصر) وانظره في الإبانة للعميدى ١٨ ، ٣٣ .

(٧) ه : ومحمد بإسقاط اللام قبله وهو شاعر متوكل يلقب بشمروخ وأكثر شعره في النزول . انظر

معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٣٨ .

وغضب^(١) سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة ، وكثرة دعاويه فيها ، وضربه بالدواة التي بين يديه ، فقال المتنبي في الحال :

إن كان سرركم ما قال حاسدنا فما لخرح إذا أرضاكم ألمم

فقال أبو فراس : أخذت هذا من قول بشار^(٢) :

إذا رضيتم بأن نجفسي وسرركم قسول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر

ومثله لابن الرومي^(٣) وهو :

إذا ما الفجائع أكسبني رضاك فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة إلى ما قاله أبو فراس ، وأعجبه بيت المتنبي ، ورضى عنه في الحال ، وأدناه إليه ، وقبّل رأسه ، وأجازه بألف دينار ، ثم أردفه بألف أخرى ، فقال المتنبي :

جاءت دنائيرك محتومة عاجلة ألفاً على ألف
أشبهها فعلك في فيساق قلبته صفاً على صف

وفي آخر هذه^(٤) القصيدة يقول :

شر البلاد مكان لا صديق به وشراً ما يكسب الإنسان ما يصم
وشراً ما قنصته راحتي قنص وشهب البزاة سواء فيه والرخم

البيت [الثاني^(٥)] مأخوذ من أبيات لصاحب العلوّى الداعي بطبرستان :

أنا من جناب سواك في مرعى ندى وأقيم عندك في جناب مجذب
إن كنت ذا بصر فيز فضل ما بين الفراء وبين صيد الأرنب

(١) > ، ه : فغضب .

(٢) شاعر مشهور أجمعت الرواة على تقدمه طبقات المحدثين المجيدين من الشعراء وهو من شعراء الدولتين الأموية والعباسية توفي سنة ١٦٧ هـ .

(٣) هو الشاعر المشهور صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب كان إذا أتى بمعنى لا يتركه حتى يستوفيه توفي سنة ٢٨٣ هـ .

• أغلب ظننا أن في هذه القصة مبالغة مصنوعة .

(٤) « هذه » ساقطة من : > ، د ، هـ .

(٥٥٥) جميع النسخ الأول في مكان الثاني والثاني في مكان الأول ولكن الشاهدين المذكورين في =

فجعل موضع الفراء الباز الأشهب، وموضع الأرنب الرخم، [الأول] (٥) من قول
محمد بن عيسى المهلبى من قصيدة أولها :

* دُمِيَّةٌ قَفْرَةٌ و رِيْعٌ جَدِيْبٌ *

لا تثق بالكذوب واعلم يقينا أن شر الرجال عندى الكذوبُ
لى وفاء محض وكف جواد وجلال باد ورأى صليبُ
أخبت الأرض ما خلعت من صديق وأضر الأفعال فعل معيبُ

وحكى أبو الفرج الببغاء (١) قال : كان أبو الطيب يأنس بى ، ويشكو من
سيف الدولة ، ويأمنى على غيبته له ، وكانت الحال (٢) بينى وبينه عامرة دون
باقى الشعراء ، وكان سيف الدولة يفتاظ من تعاضمه ، ويجفو عليه إذا كلمه ،
والمتنبى يجيبه فى أكثر الأوقات ، ويتغاضى فى بعضها . قال أبو الفرج الببغاء :
وأذكر ليلة وقد استدعى سيف الدولة بدرة (٣) فشقها بسكين الدواة ، فدأ أبو عبد الله
ابن خالويه طيلسانته فحنا (٤) فيه سيف الدولة صالحاً (٥) ، ومددت ذيل
دراعى (٦) فحنا لى جانباً ، والمتنبى حاضر ، وسيف الدولة ينتظر منه أن يفعل
مثل فعلنا ، فافعل ، فغافله ذلك ، فنثرها كلها على الغلمان ، فلما رأى المتنبى
أنها قد فاتته زاحم الغلمان يلتقط معهم ، فغمزهم عليه سيف الدولة ، فداسوه
وركبوه ، وصارت عمامته فى رقبته ، فاستحى ومضت به ليلة عظيمة ، وانصرف
فخطب أبو عبد الله بن خالويه سيف الدولة فى ذلك ، فقال : يتعاطم تلك العظمة ،
وينزل لى مثل هذه المنزلة لولا حماقتة .

تعاطم المتنبى
مع دفاة نفسه

= المثالين يدلان على العكس . والفراء بفتح الفاء سمار الوحش .

(١) أبو الفرج الببغاء : هو عبد الواحد بن نصر الخزومى الشاعر المشهور والكاتب المجيد - كان
من كتاب سيف الدولة وشعرائه وهو من يجيد وصف المعارك الحربية مات سنة ٣٩٨ هـ . وكان صديقاً
للشاعر .

(٢) « الحال » ساقطة من بقية النسخ .

(٣) البدره : عشرة آلاف درهم .

(٤) حنا : من باب عدا ورى يقصد أنه حفن له .

(٥) صالحاً : أى قدراً صالحاً .

(٦) الدراعة : ثوب من صوف .

وحكى أن أبا الطيب المتنبي دخل مجلس ابن العميد^(١) ، وكان يستعرض سيوفاً ، فلما نظر أبا الطيب نهض من مجلسه ، وأجلسه في دَسته ، ثم قال له : اختر سيفاً من هذه السيوف ، فاختر منها واحداً ثقيلَ الخَلَى ، واختر ابن العميد غيره . فقال كل واحد منهما : سيفي الذي اخترته أجود ، ثم اصطلحا^(٢) على تجربتهما . فقال ابن العميد : فماذا نجربهما ؟ قال أبو الطيب في الدنانير يؤتى بها ، فَيَنْضُد بعضها على بعض ، ثم يضرب به ، فإن قدَّها فهو قاطع ؛ فاستدعى ابنُ العميد عشرين ديناراً فَتَنَضَّدت ، ثم ضربها أبو الطيب فقدَّها ، وتفرقت في المجلس ، فقام من مجلسه المَفخَم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد : ليلزم الشيخ مجلسه ، فإن أحد الخُدَّام يلتقطها ويأتي بها إليك . فقال : بل صاحب الحاجةِ أُولى . وحكى أبو بكر الخُوَارَزْمِيُّ أن المتنبي كان قاعداً تحت قول الشاعر :

وإن أحتقَّ الناس باللومِ شاعرٌ يلومُ على البخلِ الرجالَ ويبخلُ

وإنما أعرب عن طريقته وعادته بقوله :

بليتُ يلبى الأطلال إن لم أقفُ بها وقوفَ شحيح ضاع في التُّرب خاتمهُ

قال : وحضرتُ عنده يوماً وقد أحضِرَ مالاً^(٣) بين يديه من صِلات سيف الدولة على حَصِيرٍ قد فرشهُ ، فوزِنَ وأعيد إلى الكيس ، وتخلَّت قطعة كأصغر ما يكون خِلال^(٤) الحَصِير ، فأكبَّ عليها بمجامعه يعالج^(٥) ليستنقذها منه ، واشتغل عن جلسائه حتى توصل إلى إظهارها ، وأنشد قول قيس بن الخطيم^(٦) :

(١) ابن العميد هو الوزير أبو الفضل محمد بن العميد نبيخ في الأدب وعلوم الفلسفة والنجوم ، وقد برز في الكتابة حتى صار صاحب مدرسة في الإنشاء وحتى قيل : بدنت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت: بإبن العميد توفي سنة ٣٦٠ هـ .

(٢) س : ثم اصطلحوا . هـ : واصطلحوا .

(٣) سائر النسخ : أحضر مالا .

(٤) س ، د ، هـ : بين خلال .

(٥) ساقطة من : س ، د ، هـ .

(٦) قيس بن الخطيم شاعر جاهلي كان يعاصر حسان بن ثابت ، وكان حسان شاعر الخروج ، وقيس شاعر الأوس ، وكان جيد الشعر شهد له شعراء عصره بالإجادة والتقدم ، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات قبل الهجرة .

تبدت لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدّا حاجبٌ منها وضئت بجائب

ثم استخرجها ، فقال له بعض جلسائه : أما يكفيك ما في هذه الأكياس حتى آدميت لإصبعك لأجل هذه القطعة ؟ فقال : إنها تُحضر المائدة .

وحكى على بن حمزة^(١) البصرى قال : بلوت من أبي الطيب ثلاث^(٢) خلالٍ محمودة ؛ وتلك أنه ما كذب ، ولا زنى ، ولا لاط ، وبلوت منه ثلاث^(٣) خلالٍ ذميمة ؛ وتلك^(٤) أنه ما صام ، ولا صلى ، ولا قرأ القرآن ، وقال ابن فورجة^(٥) في كتاب : التجنى على^(٦) أبي العلاء المعرى ، عن رجل من أهل الشام ، كان يتوكل لأبي الطيب في داره يُعرّف بأبي سعيد قال : دعاني أبو الطيب يوماً ونحن بحسّاب ، ولم أكن أعرف منه الميل إلى اللهو مع النساء ولا الغلمان فقال لى : رأيت الغلام ذا الأصداع الجالس إلى حانوت كذا من السوق ؟ وكان غلاماً وسيماً فحاشا^(٦) ، فيما هو سبيله ، فقلت : نعم أعرفه . قال : فامض وأنى به ، واتخذ دعوة وأنفق وأكثر ، وكنت أستطلع رأيه في جميع ما أنفق ، ففضيت واتخذت له ثلاثة ألوان من الأطمعة ، وعدّة صفّحات

(١) على بن حمزة أحد الأعلام الأئمة في الأدب روى عنه أبو الفتح بن جنى شيئاً من أخبار المتنبي لأن المتنبي لما ورد بغداد نزل عليه ضيفاً إلى أن رحل عنه . معجم الأدباء لياقوت ١٣ : ٢١٠ توفي سنة ٣٧٥ هـ .

(٢،٣) كذا في ٥ . وفي ١ ، ب و ح ، د : ثلاثة تحريف .

(٣) ح ، د ، هـ : ذلك .

(٤) في فوات الوفيات ج ٢ ص ١٩٨ ما نصه : محمد بن حمد بن فوزجة بالفاء المضمومة وبعد الواو والزاي جيم مشددة البروجردى : وفي بغية الوعاة ص ٣٩ أنه محمد بن حمد بن محمد بن محمود بن فوزجة بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المهملّة وفتح الجيم ، وفي معجم الأدباء ج ١٨ ص ١٨٨ ضبطه كما في بغية الوعاة ، وعليه هامش يشير فيه إلى ضبط فوات الوفيات ثم يقول : فليتأمل هذان الضبطان . وقرأ إنياه الرواة ج ١ ص ٣٣٤ لترى رأياً جديداً في اسمه . وابن فورجة أديب فاضل مصنف من كتبه الفتح على أبي الفتح والتجنى على ابن جنى يرد فيما على ابن جنى في شرح شعر المتنبي ، وسيأتي ذكرهما في شرح الديوان ، مولده في ذى الحجة ٣٣٠ هـ .

(٥) سائر النسخ : عن والمعروف أن كتابه التجنى على ابن جنى لا على أبي العلاء المعرى .

• سيأتي ذكره بعد قليل بأنه الحسن بن سعيد راوية المتنبي بحلب كما في ذكرى المتنبي لعزام ص ١٩ والمفهوم هنا أنه كبير خدم المتنبي .

(٦) سائر النسخ : فعالتنا وهو تحريف .

من الحلوى ، واستدعيتُ الغلام ، فأجاب ، وأنا مُتَعَجِبٌ من جميع ما أسمع منه ، إذ لم تَجْرٍ له عادة في مثله ، فعاد أبو الطيب من دار سيف الدولة آخر النهار وقد حضر الغلام ، وفرغ من اتخاذ الطعام ، فأكلا وأنا ثالثهما ، ثم جنَّ الليل ، فقدمت شمعة ، ورفع^(١) دفاتره ، وكانت تلك عادته كلَّ ليلة ، فقال : أحضرْ لضيفك شرباً ، واقعد إلى جانبه ونادمه ، ففعلت ما أمرني به . كلُّ ذلك وعينه إلى الدفر ، يدرُسُ ولا يلتفت إلينا إلا في حين بعد حين ، فما شربنا إلا قليلاً حتى قال : افرش لضيفك ، وافرش لنفسك ، وبتْ ثالثنا ، ولم أكن قبل ذلك أبايتُهُ في بيته ؛ ففعلت وهو يدرس ، حتى مضى من الليل أكثره ، ثم أوى إلى فراشه ونام . فلما أصبحنا قلت له : ما يصنع ؟ فقال احبُّه وأصرفه فقلت له : وكم أعطيه ؟ فأطرق ساعة ؛ ثم قال : أعطه^(٢) ثلاثمائة درهم . فتعجَّبتُ من ذلك ، ثم جسرت نفسي ، فدنوت منه ، وقلت له : إنه ممن يجيب بالشيء اليسير ، وأنت لم تنل منه حظاً . فغضب ثم قال : أتظنني من أولئك الفسقة ؟ أعطه ثلاثمائة درهم ، وليصرف راشدًا . ففعلت ما أمرني به ، وصرفته .

قال ابن فورجة : كان المتنبي داهية مُرَّ النفس^(٣) شجاعاً حافظاً للأدب ، عارفاً بأخلاق الملوك ، ولم يكن فيه ما يشينه ويسقطه^(٤) إلا بخله وشره على المال . وقال أبو البركات بن أبي الفرج المعروف بابن زيد^(٥) التكريتي الشاعر ، قال : بلغني أنه قيل للمتنبي قد شاع عنك من البخل في الآفاق ما قد صار سمراً بين الرفاق ، وأنت تمدح في شعرك الكرم وأهله ، وتذم البخل وأهله ، ألسنت أنت القائل : ومن يُسْفِكِ الساعات في جمعِ مالِهِ مخافة فقر فالذي فعلَ الفقرُ ومعلوم أن البخل قبيح ، ومنك أقبح ؛ لأنك تتعاطى كِبْرَ النفس ، وعلوَّ الهمة ، وطلبَ الملُك ، والبخل ينافي سائر ذلك . فقال : إن لبخلى سبباً ،

(١) ج ، د ، هـ : وأمر برفع دفاتره .

(٢) ب ، أعطه بمعنى أعطه في لغة اليمن .

(٣) ب ، د ، هـ : اللسان بدل النفس .

(٤) ساقطة من هـ .

(٥) هو أبو البركات محمد بن أحمد بن زيد التكريتي المعروف بالمويد ، ذكره أبو شامة في وفيات

سنة ٥٩٩ هـ وقال : كان أديباً فاضلاً شاعراً ، انظر ج ٣ من إنباه الرواة ص ٢٥٥ وهامشها .

وذلك أني أذكر وقد وردت في صباي من الكوفة إلى بغداد ، فأخذت خمسة دراهم في جانب مندلي ، وخرجت أمشي في أسواق بغداد ، فررت بصاحب دكان يبيع الفاكهة ، فأريت عنده خمسة^(١) من البيطيخ باكورة ، فاستحسنتها ونويت أشريها بالدراهم التي معي ، فتقدمت إليه وقلت : بكم تبيع هذه الخمسة بطاطيخ ، فقال : بغير اكتراث : اذهب ، فليس هذا من أكلك ، فمأسكت معه وقلت : أيها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمن ، فقال : ثمنها عشرة دراهم . فلشدة ما جبهني به ما استطعت أن أخاطبه في المساومة ، فوقفت حائراً ؛ ودفعت له خمسة دراهم ، فلم يقبل ، وإذا بشيخ من التجار قد خرج من الخان ، ذاهباً إلى داره ، فوثب إليه صاحب البيطيخ من دكانه ، ودعا له ، وقال له^(٢) : يا مولاي ، هذا^(٣) بطيخ باكور ، بأجازتك أحمله إلى منزلك . فقال الشيخ : ويحك بكم هذا ؟ قال : بخمسة دراهم . فقال : بل بدرهمين . فباعه الخمسة بدرهمين ، وحملها إلى داره ، ودعا له ، وعاد إلى دكانه مسروراً بما فعل ، فقلت له : يا هذا ، ما رأيت أعجب من جهلك ، استمت^(٤) على في هذا البيطيخ ، وفعلت ففعلتك التي فعلت ، وكنت قد أعطيتك في ثمنه خمسة دراهم ، فبعته بدرهمين محمولاً . فقال : اسكت هذا يملك مئة ألف دينار . فعلمت أن الناس لا يكرمون أحداً لإكرامهم من يعتقدون أنه يملك مئة ألف دينار ، وأنا لا أزال على ما تراه حتى أسمع الناس يقولون : إن أبا الطيب قد ملك مئة ألف دينار .

قلت وقع في شعر أبي الطيب الوصية بالحزم ، وضبط الأموال ، كقوله في قصيدته التي أولها :

أودُّ مِينَ الأَيامِ ما لا تَوَدُّهُ^٥ وأشكو إليها بينها^(٥) وَهِيَ جُنْدُهُ
يُبَاعِدُنَ حَبِيبًا يَجْتَمَعُنَ وَوَصْلُهُ^٦ فكيف بحب يجتمعن وَصَدَّهُ^(٦)

(١) كذا في جميع النسخ والصوراب إسقاط التاء .

(٢) له سقطت من سائر النسخ .

(٣) سائر النسخ : هابطيخ .

(٤) استمت : غاليت .

(٥) الديوان بيننا بمعنى فراقنا .

(٦) الحب : المحبوب والمعنى أن الأيام تباعد عنى حبيباً ووصله موجود فكيف أطمع في حبيب

صده موجود ؟

أَبِي خُلُقٌ الدُّنْيَا حَبِيبًا تُدِيمُهُ فَمَا طَلَبِي مِنْهَا حَبِيبًا تَرِدُهُ
إِلَى أَنْ قَالَ :

وَأَتَعِبُ خُلُقِي اللَّهَ مِنْ زَادِ هِمِّهِ وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ جُهْدُهُ^(١)
فَلَا يَنْحَلُّ فِي الْمَجْدِ مَالِكُ كُلِّهِ فَيَنْحَلُّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
وَدَبْرُهُ تَدْبِيرَ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَّهُ إِذَا حَارِبَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ^(٢)
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَتَلَ مَالَهُ وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَتَلَ مَجْدَهُ^(٣)

فَأَمْرٌ^(٣) كَافُورًا بِالْبَخْلِ ، حَيْثُ حَرَمَهُ ، وَسَلَّكَ فِي ذَلِكَ مَسَلَكَ كَثِيرِ عَزَّةٍ^(٤)
فَإِنَّهُ دَخَلَ عَلَى هِشَامِ^(٥) بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ بِخَيْلًا ، فَدَحَاهُ ، فَلَمْ يُشِيبْهُ ، فَقَالَ
كَثِيرٌ يَخَاطِبُهُ بِقَوْلِهِ :

إِذَا الْمَالُ لَمْ يَوْجِبْ عَلَيْكَ عَطَاءَهُ صَنِيعَةٌ تَقْوَى أَوْ خَلِيلٌ^(٦) تَوَافَقَهُ^(٧)
^(٨) مَنَعَتْ وَبَعْضُ الْمَنَعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ وَلَمْ يَفْتَلِدْكَ الْمَالُ^(٩) إِلَّا حَقَائِقَهُ^(١٠)

(١) الديوان : وجده وهى أشهر . ه : جده .

(٢) يقول : دبر مالك تدبير من إذا قاتل أعداءه جعل المجد بمنزلة كف له يضربهم بها ، والمال بمنزلة الساعد الذى تعتمد عليه الكف فى الضرب يريد أنه بمجده وسيادته يقود الحيوش ، وبماله يجهزها ، وينفق عليها ، فالجد والمال قرينان متلازمان لا يستقل أحدهما بدون الآخر كما بين ذلك فى البيت التالى :

« فلا مجد فى الدنيا لمن قتل ماله . . . »

(٣) ح ، د ، ه : يصف بدل « فأمر » .

(٤) كثير عزة من شعراء الغزل فى العصر الأموى توفى بالمدينة سنة ١٠٥ هـ .

(٥) هشام بن عبد الملك أحد خلفاء بنى أمية توفى سنة ١٢٥ هـ .

(٦) صديقا

(٧) كذا فى « أ » وديوان كثير المطبوع بالجزائر سنة ١٩٣٠ . وفى سائر الأصول : توامقه .

وفى الشعر والشعراء لابن قتيبة طبعة ليدن ١٩٠٤ : تخالقه . ومعنى توامقه : توده ويودك

(٨ - ٨) كذا فى الأصول والشعر والشعراء والديوان ، ونبه ناشراهما على أن هناك رواية أخرى هى :

« بخلت وبعض البخل . . . »

(٩) كذا فى الشعر والشعراء ، وديوان كثير ، ولسان العرب (فلذ) ومعنى يفتلك يأخذ من

مالك فلذة أى قطعة . وفى جميع أصول الصحيح : يفتلك . تحريف وفى المقعد : « ولم يستلبك » . ومعنى

البيتين : إذا كان العطاء لا يوجب عليك حقاً لله أو حقاً لصديق منعت ، وكان ذلك المنع حزمًا وقوة و بنا

للمجد ، ولا يهيك من بناء المجد إلا أن تحصل على حقيقته .

(١٠) وبعد هذين البيتين فى الشعر والشعراء والديوان بيت ثالث هو :

قبورك ما أعطى ابن ليل بنية وصامت ما أعطى ابن ليل وناطقه =

فقيل لكثير : ما حملك على أن تُعَلِّمَ أميرَ المؤمنين البخل ، فقال : إنه منغى من رِفْدِهِ ، وآلَمِي بَرْدَهُ ، فأردت أن أَحَبِّبَ إِلَيْهِ المَال ، فيمنعَ غَيْرِي كما منغى ، فيتفقَ الناس على ذمِهِ .

وأحسن قصائد أبي الطيب في سيف الدولة ، وتراجَعَ شعرُهُ بعد مفارقتِهِ ، وسُئِلَ عن سبب ذلك فقال : قد تجوزتُ في قولي ، وأعفيتُ طبعي ، واغتنمتُ الراحة^(١) منذ فارقت آل حمدان وفيهم من يقول :

تُسَائِلُنِي مِنْ أَنْتِ وَهِيَ عَليمة
فقلتُ كما شاءتُ وشاءَ لها الهوى
فقلتُ لها لو شِئتِ لم تَتَعَنَّتِي
فقلتُ لقد أزرى بك الدهرُ بَعْدَنا
وما كان للأحزان لولاك مسلكٌ
وتَهلكُ بين الهزل والجد^(٢) مهجةٌ
فأيقنتُ أن لا عِزَّ بعدى^(٣) لعاشق
وإني لنزال بكل مخوفة
وإني لسَجَرَارٌ لكل كتيبة
وأظماً حتى يرتوى البيضُ والقنا

وهل بفتى^(٤) مثلى على حاله نُكِرُ
قتيلك قالتُ أيهم فهمُ كُثُرُ
ولم تسألني عنى وعندك بي خُبْرُ
فقلتُ معاذَ الله بل أنتِ والدهرُ^(٥)
إلى القلبِ لكنَّ الهوى للبي جسرُ
إذا ما عداها البينُ عذبها الهجرُ
وأنَّ يدي مما عَليقتُ به صِفْرُ
كثيرُ إلى نَزَلها النظرُ الشرُّ
معوذةً ألاَّ يُخِلَّ بها النصرُ
وأسغبُ حتى يشيعَ الذئبُ والنسرُ

= وقال ابن قتيبة قبلها : ولعبد العزيز يقول كثير ، وروى الكامل البيتين دون أن ينسهما إلى قائلهما ، واستدرك الأخفش عليه أنهما لنصيب أو كثير ثم قال والأول أثبت .

(١) هذا ما ذكره الصبيح المنبى وقد وقفنا في شرح العكبري لهذه القصيدة على علل أخرى ربما كانت أوضح تلك هي ما قاله العكبري : سألت شيخني أبا الحرم مكى بن ريان الماكسى عند قراءته عليه الديوان سنة ٥٩٩ هـ ما بال شعر المتنبي في كافور أجود من شعره في عهد الدولة وأبي الفضل ابن العميد فقال : كان المتنبي يعمل الشعر للناس لا للممدوح وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة في بلاد خالية من الفضلاء وكان بمصر جماعة من الفضلاء والشعراء فكان يعمل الشعر لأجلهم وكذلك كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء فكان يعمل الشعر لأجلهم ولا يبالي بالممدوح .

(٢) في ، د ، هـ : نعت . تحريف . ب : بقتى

(٣) كذا في « ١ » وفي سائر النسخ والديوان طبعة المعهد الفرنسي بدمشق : لا الدهر .

(٤) كذا في ، ا ، ب ، ج . وفي د ، هـ : بين الجد والهزل .

(٥) هـ : بعد بدون ياء المتكلم .

[و] (١) يقول :

صبورٌ ولو لم تبق مني بقيسة
وقورٌ وأحداثُ الزمان تنوشني
ستذكر أباي نُميرُ بن عامرٍ
أنا الجار لا زادي بطيءٌ عليهم^٢
قؤولٌ ولو أن السيوفَ جوابُ
وللموت حولي جيئةٌ وذهابُ
وكعب على علاتها وكلابُ
ولا دونَ بابي في الحوادثِ بابُ

يعني أبا فراس . وفيهم من يقول :

وقد علمت بما لاقتنه منّا
لقيناهمُ بأرماحٍ طوال
قبائلُ يعرب وبنى نِزارِ^(٢)
تبشرهم بأعمارٍ قصارِ

يعني أبا زهير بن مهلهل بن نصر بن حمدان . وفيهم من يقول :

أخا الفوارس لو رأيتَ موافني
لقرأتَ منها ما تخطَّ يدُ الوغي
والخيلُ من تحت الفوارس تَسْحَطُ^(٣)
والبيضُ تَسْكَكُ^(٤) والأسنةُ تنقطُ

يعني أبا العشائر . قال أبو الفتح بن جني : كنت قرأت ديوان المتنبي عليه ،
فلما وصلت إلى قوله :

أغالبُ فيك الشَّوقُ والشَّوقُ أغْلَبُ
وأعجَبُ من ذا الحجرِ والوصلُ أعجَبُ^(٤)

فلما انتهيت إلى قوله :

لَحَمًا اللهُ ذى الدنيا مُنَاخًا لراكبٍ
ألا ليتَ شعري هل أقول قصيدةً^(٥)
وإنى ما يذودُ الشعرَ عنى أقلُّهُ^(٦)
فكُلُّ بعيدِ الهمِّ فيها معذبٌ
ولا^(٥) أشتكى فيها ولا أتعْتَبُ^(٦)
ولكنَّ تَلبي يا ابنة القومِ قَلْبُ^(٦)

(١) الواو ساقطة من « ا » وهي في سائر النسخ .

(٢) ب ، د ، هـ : فزار . تحريف .

(٣) تنحط : من باب ضرب ومعناه تصوت من الثقل والإعياء .

(٤) يروى في سبب إنشاد هذه القصيدة أن كافوراً تقدم إلى البوابين وأصحاب الأخبار فكانوا كل يوم يرجفون بأنه قد ولاء موضعاً من الصعيد وغيره وينفذ إليه قوماً يعرفونه ذلك فلما كثر هذا وعلم أن أبا الطيب لا يثق بكلام يسمعه حمل إليه ستمائة دينار ذهباً فقال يمدحه بها .

(٥) الديوان : فلا . (٦) قلب : جيد الحيلة متصرف .

وأخلاقُ كافرٍ إذا شئتُ مدحَهُ وإن لم أشأُ تملى علىّ وأكتبُ^(١)
إذا ترك الإنسانُ أهلاً وراءه ويممَّ كافرًا فما يتغرب

فقلت^(٢) له : يعزُّ عليّ أن يكون هذا الشعر في ممدوح^(٣) غير
سيفِ الدولة ، فقال : حذرناه وأندرناه ، فما نفع فيه الحذر أَلستُ القائلَ فيه :
أخا^(٤) الجودِ أعطِ الناسَ ما أنتَ مالِكُه ولا تُعطينَ الناسَ ما أنا قائلُ

فهو الذي أعطاني لكافور بسوء تدييره ، وقِلَّة تمييزه^(٥) ، وهذا البيتُ من
قصيدة له يمدحُ سيفَ الدولة بها ويصفُ دخولَ رسولِ مَلِكِ الرومِ إليه^(٦) ،
ولو لم يكن للمتنبى سوى هذه القصيدة لاستحقَّ بها فضيلةَ التقدم على كل من
تقدمه وهي :

دروعٌ لِمَمَلِكِ الرومِ هذى الرسائلُ يردُّ بها عن نفسه ويُشاغِلُ

هذا^(٧) أحسن من قول أبي تمام :

غداً خائفاً يستنجد الكُتُبَ مُذْعِناً إليك فلا رُسُلَ ثَنَّتِكَ^(٨) ولا كُتُبُ^(٩)

• • •

(١) أخذ هذا المعنى الصحاب بن عباد فقال :

وما هذه إلا وليدة ليلة
على أنها إملاء مجدك ليس لي
يفسور لها شعر الوليد وينضب
سوى أنه يعلى على وأكتب

(٢) كذا في جميع النسخ والصواب حذف الفاء على أنه يمكن تقدير جواب محذوف و :
فقلت له . . . معطوف عليه .

(٣) ب ، ح : ويمدح غير سيف الدولة . د ، هـ : ويمدح به غير سيف الدولة .

(٤) الديوان : إذا الجود . سائر النسخ : أبا الجود .

(٥) يقال إن السبب الذي حمل المتنبى على مفارقة سيف الدولة وخروجه إلى مصر ومدحه كافرًا
الأسود : أن سيف الدولة كان يتلون له ، ولا يثبت على حال واحدة ، ويصغى إلى قوم كانوا يغررونه به ،
ويقعوا فيه دناءة منهم وحسدًا له ، فكثرت الأذى عليه من جهته فأجمع رأيه على الرحيل من حلب . وفيما سبق
من مواقف أبي فراس وابن خالويه وغيرهما من المتنبى وسكوت سيف الدولة عن ذلك دلائل على هذا ، وسيأتى
بيان واف عن رحلة المتنبى من حلب إلى مصر ، واتصاله بكافور .

(٦) كان ذلك في شهر ربيع الأول سنة ٣٤٣ هـ .

(٧) مطبوعة دمشق وهامش التبيين : « وهذا » بزيادة الواو .

(٨) مطبوعة دمشق : تفيد .

(٩) وعندنا أن قول أبي تمام أجود ؛ فقد صرح بالخوف والإذعان ، وأن ما يتوصل به لا يفيد .

هي الزَّرْدُ الصَّافِي عليه ولفظُها وأنىَّ اهتدى هذا الرسولُ بأرضه ومن أَى ماء كان يسقى جيادَه هذا (٢) أيضا أحسن من قول البحرى :

بُغالبُ طعمِ الماءِ في ملتقاهُمُ حساً (٣) الدمِ حتى يلفظ الماءَ شاربُهُ

* * *

أتاك يكساد الرأسُ يجحدُ عنقَه وتنفدُ تحت الذُّعْر (٤) منه المفاصلُ يُقومُ تقويمَ السباطين مشيَه إليك إذا ما عوجَّته الأفاكل (٥) فقاسمك العينين منه ولحظه سميكَ والحيل الذى لايزيلُ

بنصب العينين ، واللحظ ، والسمى ، والحيل (٦)

وأبصر منه (٧) الرزق والرَّزْقُ مُطْمَعٌ وأبصر منه الموت والمسوت هائلُ وقيل كُماً قبيل التَّربِّ قبله وكلُّ كَمِيٍّ واقف متضائلُ وأسعدُ مشتاقٌ وأظفرُّ طالبُ همامٌ إلى تقبيل كَمِّكَ واصلُ مكان تمناه الشفاهُ ودونه صدورُ المذاكى (٨) والرماحُ الذوابلُ (٩)

(١) القساطل : جمع قسطل وهو غبار الحرب .

(٢) مطبوعة دمشق وهامش التبيان : « وهذا » بزيادة الواو .

(٣) سائر النسخ : من ملتقاهم . حسا الدم : ما يحتسى منه ، وحسا بالقصر ويمد .

(٤) الديوان ومطبوعة دمشق : الدرع .

(٥) السباطين : مثنى سباط وهو الصف من الناس . الأفاكل جمع أفكل وهو الرعدة من خوف أو يرد . وروى تقويم بالنصب على المفعولية المطلقة ومشيهِ مفعول به وفاعل يقوم ضمير الرسول وروى بالرفع على أنه فاعل يقوم أى إذا تموج الرسول فى مشيه عدلته صفوف جنده لضيق ما بينها وكان قدومه وسيف الدولة بين صفين من جنده .

(٦) أجمع شراح الديوان على رفع « سميكَ » لأنها فاعل قاسم والحل معطوف عليه . أما ما انفرد به المؤلف فيمكن توجيهه على أن فاعل قاسم ضمير يعود على الرسول ، والعينين مفعول به له ، ولحظه معطوف على العينين ، وصي مفعول للحظ على أنه مصدر لحظ ، والحل معطوف على صمى ، والمعنى على هذا واضح أيضاً

(٧) سائر النسخ والديوان « منك » وهو الصواب .

(٨) المذاكى من الحيل ما اكتملت قوتها .

(٩) الذوابل : جمع ذابل الرماح اليابسة .

فما بلغتَهُ ما أراد كرامةً
وأَكْبَرُ منه همةً بعثتْ به
فأقبل من أصحابه وهو مرسلٌ
عليك ولكن لم يَسْخَبْ لك سائلٌ
إليك العِدا واستنصرتَهُ الجحافلُ (١)
وعاد إلى أصحابه وهو عاذلُ (٢)

هذا (٣) يشابه قول البحترى :

لحظوك أولَ لحظةٍ فاستصغروا
قد نافس الغيِّبُ الحُضُورَ على الذى
مَنْ كان يُعْظَمُ عندهم وَيُجَبَّلُ
شهِدوا وقد حسد الرسولَ المرسلُ (٤)

* * *

وتطابِعُهُ الرحمنُ والمجدُّ صاقلُ
ولا حدُّهُ مما تُحسُّ الأنامِلُ
عليها وما جاءتْ به والمراسِلُ
لديه ولا تُرْجى لديه الطوائِلُ (٥)
فقد فَعَلُوا ما الأسرُ والقتلُ فاعلُ
وجاءوك حتى ما تُرادُ السلاسلُ
كأنكَ بحرُ والملوكُ جداولُ
تحيرٌ فى سيفِ ربيعةٍ أصلهُ
وما لونهُ مما تحصلُ مقلةً
إذا عاينتكَ الرسلُ هانتْ نفوسُها
رجا الرومُ من تُرجى النوافِلُ كلُّها
فإن كان خوفُ الأسرِ والقتلِ سَمَّاهمُ
فخافوك حتى ما لقتلِ زيادةٍ
أرى كلَّ ذى مُلكٍ إليك مصيرُهُ

(١) روى « وأكبر » بالرفع على أنه مبتدأ ، وبالجر بالفتحة على أنه واقع بعد رب ، وبالنصب بفعل مضمَر تفسيره ما بعده ، وقد يكون « أكبر » فعلا ماضياً والمعنى أن الروم استعظموا همة الرسول التي حملته إليك مع ما يمترضه من المهابة .

(٢) المعنى أنه أقبل من عندهم وهو رسول لهم مبلغ كلامهم ، فلما عاد إليهم صار لانما لم يعترفهم على محاربتك حين رأى جندك وكثرة عدوك .

(٣) مطبوعة دمشق : « وهذا » بزيادة الواو .

(٤) هذان البيتان (وهما غير متتابعين) من قصيدة للبحترى يملح بها المتوكل ويذكر وفد الروم ، وقد روى البيت الثانى منهما محرفاً فى شطره الأول تحريفاً مفسداً لم نشأ أن نذكره . والغيب بفتحيتين جمع غائب ، والحضور : الحاضرون ، وفى بيتى البحترى عنوبة واستيفاء للمعنى ؛ فقد دل على أن لا عظمة للملوك الروم بجانب عظمة المتوكل ، وأفاد شيئاً آخر هو منافسة الغائبين من حضروا على ما شهدوا ، وحسد المرسل رسوله .

(٥) النوافل : العطايا جمع نافلة . الطوائل : الأحقاد مفردها طائلة يقال بينهم طائلة أى عداوة وبرة .

أخذه من (١) ابن المعتز :

« مَلِكٌ تَوَاضَعَتِ الْمَلُوكُ لِعِزَّةِ قَسْرًا وَفَاضَ عَلَى الْجُدَاوِلِ بِحُرِّهِ »

إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابٌ فَوَابِلُهُمْ طَلٌّ وَطَائِكٌ وَابِلٌ

هذا أيضاً كقول البحري :

« أَنْذَرْتَكُمْ عَارِضًا تَبْدُو مَخَايِلُهُ فَالْقَطْرَةُ الْفَذَّةُ مِنْهُ وَابِلٌ هَطِيلٌ » (٢)

كَرِيمٌ مَتَى اسْتَوْهَيْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ وَقَدْ لَتِمَحَّتْ حَرْبٌ فَإِنَّكَ نَازِلٌ (٣)

هذا (٤) المعنى مأخوذ من خير روى عن حاتم الطائي [قبيل] (٥) إنه بارز عامر بن الطفيل وفقد رمح عامر ، فخافه عامر فقال : يا حاتم لأبخلنك (٦) قال : بماذا ؟ قال : ادفع إلى رحلك أقاتلك به فرمى إليه برمحه ، ورجع مؤكياً . وقال بشار ما (٧) ينظر إلى هذا المعنى :

لَوْ كَانَ لِي سَيْفٌ غَدَاةَ الْوَعْيِ طَبِيتُ بِهِ نَفْسًا لِأَعْدَائِي

وأحسن ما قيل في هذا المعنى قول البحري :

(١) ح ، د ، هـ : من قول .

(٢) هذا البيت من قصيدة في مدح أبي سعيد الغري مطلعها :

لا دمنة بلوى خبت ولا طلل يرد قولاً على ذى لوعة يسيل

والعارض : السحاب المعترض في الأفق .

(٣) لقمحت الحرب : اشتدت . يريد أنه كريم لوستل فرسه وقد ثارت الحرب لنزل عنها ، ولم يبخل بها على سائله . نازل : رواية الأصول ، وفي الديوان : باذل . وهي أجود .

(٤) مطبوعة دمشق * : « وهذا المعنى » بزيادة الواو .

(٥) (قيل) زيادة من ح ، د ، هـ .

(٦) لأبخلنك كما في ب : أى لأنسبتك إلى البخل وقد حرفت في غيرها ، وقد تقرأ « لأنجلنك » من : نجله بالرمح أى طعنه وأوسع شقه .

(٧) ما : أى شعرا ينظر ، وهي ساقطة من ج .

ماضٍ على عزمه في الجود لو وهب الشَّباب يومَ لقاءِ البيضِ ما نَدِمَ ما^(١)
قال ابن أحمر^(٢) :

إني أقيد بالمأثور راحلتى ولا أبالي وإن كنا على سفَرٍ
وما زال المتنبي بعد مفارقة سيف الدولة يعرض بمدحه تارة ، ويصرح أخرى ؛
فمن ذلك قوله في أول قصيدته التي مدح بها كافورا :

فِراقٌ ومَنٌ فارقتُ غيرُ مُذمِّمٍ^(٣)

ومن ذلك أيضا قوله في قصيدة كافورية :

عشية أحفى الناسِ بي من جفَّوتِه وأهدى طريقِي^(٤) الذي أتجسَّبُ

ورأيت له قصيدتين في هجاء كافور ، ومدح سيف الدولة ، ونقلتهما من
خط أبي منصور [عبد الملك بن^(٥)] محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري . قال :
إنهما وجدتا في رحله لما قَتِيل ، وعملهما بواسط^(٦) لإحداهما قوله :

أفريقا خُمَارُ المِمْ نَغَصَّصِي^(٧) الخمرِ وسُكْرِي منَ الأيامِ جَنَّبِي السُّكْرَا

ما وجد من شعره
في غير ديوانه

(١) من قصيدة في ديوانه يمدح بها رافع بن هرثمة ومطلعها :

بالله آلى يميننا برة قسما ما كان ما زعم الواشى كما زعما

ونحن نوافق على أن البحترى أجود لأن الشباب أغلى ما يحرص عليه الإنسان فهو الحياة .

(٢) في الأصول : ابن الأحمر والصواب ما أثبتنا . وابن أحمر ، هو عمرو بن أحمر الباهلي شاعر
مخضرم (انظر ترجمته في معجم الشعراء للمرزباني ص ٢١٤) ونسب البيت صاحب اللسان في (أثر) إلى
ابن مقبل وهو شاعر مخضرم أيضاً .

والمأثور : السيف في منته أثر ، أو التقديم المتوارث . وتقبيد الراحلة نحرها به الأضياف .

(٣) تمام البيت : « وأم ومن يمت خير ميم » .

(٤) الديوان : الطريقين . وهذا البيت من قصيدته التي مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

وقد تقدم ذكرها .

(٥) زيادة من وفيات الأعيان واليتيمة لتصحيح الاسم وأبو منصور هو صاحب يتيمة الدهر وفقه
اللغة وغيرها من النفائس الأدبية .

(٦) واسط : بلد بالعراق في وسط الطريق بين البصرة والكوفة بناه الحجاج بن يوسف .

(٧) كذا في ا ، د ، ب ، ح ، هـ : محرفة لا توجيه لها . الديوان ومطبوعة دمشق : بغضى

أى بغض إلى .

بقلبي يَأْبَى أَنْ أُسْرَّ كَمَا سُرًّا
 فَعَرَقْتَنِي نَابًا وَمَزَقْتَنِي ظُفْرًا (١)
 يُبْلِغُ حَظِّي شَرًّا وَيُسْمَعُنِي هُجْرًا
 فَأَفْنَيْتَهُ عَزْمًا وَلَمْ يُفْنِنِي صَبْرًا (٢)
 سِوَايَ وَلَا يَجْرِي بِخَاطِرِهِ فِكْرًا
 وَمَا أَنَا مِنْ رَامِ حَاجَتِهِ بِسْرًا (٣)
 فَتَسْرُ كَيْبَتِي مِنْ عَزْمِهَا الْمَرْكَبِ الْوَعْرًا (٤)
 فَوَادٌ بِبَيْضِ الْهِنْدِ لَا يَبِيضُهَا مُغْرَى
 نَوَى تَقَطُّعِ الْبِيدَاءِ أَوْ أَقْطَعَ الْعُمْرَا
 وَصَبْرًا (٥) طُولِ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهِ شِبْرًا
 وَفَارَقْتَهُمْ مَلَانًا مِنْ حَسَنَقِ صَدْرَا
 أَيْتُ إِبَاءِ الْحَرِّ مَسْتَرْقًا حِرَا
 وَلَا مِثْلَ ذَا الْخَصِيِّ أَعْجُوبَةً نَكَرًا (٦)
 كَمَا يُبْتَدَأُ فِي الْعَدِّ بِالْإِصْبَعِ الصَّغْرَى
 وَيَأْيِهَا الْخَصِيُّ مَنْ أَمَّاكِ الْبِظْرَا (٧)
 لَوَيْبِي دُونَ اللَّهِ يَبْعُدُ فِي مِصْرَا (٨)

تَسْرَّ خَلِيَّتِي الْمَدَامَةُ وَالَّذِي
 لَبَسْتُ صُرُوفَ الدَّهْرِ أَخْشَنَ مَلْبَسًا
 وَفِي كُلِّ لِحْظٍ لِي وَمَسْمَعٍ نَعْمَةٌ
 سَدَّكَتُ بِصُرْفِ الدَّهْرِ طِفْلًا وَيَافِعًا
 أُرِيدُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا يَرِيدُهُ
 وَأَسْأَلُهُ مَا أَسْتَحِقُّ قِضَاءَهُ
 وَلِي هِمَّةٌ مِنْ رَأْيِي هَمَّتْهَا النُّوَى
 تَرُوقُ بِنِي الدُّنْيَا عَجَائِبُهَا وَلِي
 أَخُو هَمِّ رِحَالَةٍ لَا تَزَالُ بِي
 وَمَنْ كَانَ عَزَمِي بَيْنَ جَنِيهِ حِثَّةٌ
 صَحَبْتُ مَلُوكَ الْأَرْضِ مَغْتَبِطًا بِهِمْ
 وَلَمَّا رَأَيْتُ الْعَبْدَ لِلْحَرِّ مَالِكًا
 وَمِصْرًا لِعَسْرِي أَهْلُ كُلِّ عَجِيْبَةٍ
 يُعَدُّ إِذَا عُدَّ الْعَجَائِبُ أَوْلَا
 فَيَا هَرَمَ الدُّنْيَا وَيَا عِبْرَةَ الْوَرَى
 لَوَيْبِيَّةٌ لَمْ تَسْدُرْ أَنْ بُنِيَتْهَا الدُّ...

(١) عرق العظم : أكل ما عليه من اللحم ، والتشديد للبالغة ، ونابا وظفرا منصوبان على نزع الخافض أي بناب وظفر .

(٢) سدك به : لزمه .

(٣) بسرا : أي قبل أن يحين أوانها . الديوان : قسرا .

(٤) أراد بالهمة الأولى القدرة على الوصول إلى عظام الأمور ، وبالثانية العزيمة

(٥) الديوان : خيل .

(٦) نكرا مقصور نكراء وهي المنكرة . الديوان : بكرا وهي رواية جيدة .

(٧) البظراء : ذات البظر أي التي لم تخفص ، والخفص للجارية كالتحان للغلام .

(٨) لويبية : مصغر لويبية واللويبية المنسوبة إلى اللوية وهي النوبة واسمان للحرة أي الأرض البركانية

السوداء ، وقيل اللويبية المنسوبة إلى اللوب وهي لغة في النوب الذي هو جبل من السودان . « تاج العروس »
 الديوان : نويبية . النويبي .

ويستخدم البيض الكواعب كالدهي قضاء من الله العليّ أرادته والله آيات وليس كهذه لعمرك ما دهرٌ به أنت طيبٌ وأكفرٌ يا كافورٌ حين تلوح لي عثرتُ بسيرى نحو مصر فلا لعماً وفارقتُ خيرَ الناس قاصداً شرهم فعاقبني المحصى بالغدر جازبا وما كنتُ إلاّ فائلَ الرأي لم أُعَنّ وقد أرى^(١) الخنزيرُ أنى مدحته جسرتُ على دهياءِ مصرَ ففتتها سأجليها أشباه ما حملته من

وروم العبدى والغطارفة الغرا^(١)
 ألاّ ربما كانت إرادته شرا^(٢)
 أظنك يا كافورُ آيتَه الكبرى
 أيحسبني ذا الدهرُ أحسبه دهرا؟
 ففارقتُ مذ فارقتك الشرك والكفرا
 بها وآعاً بالسّير عنها ولا عثرا^(٣)
 وأكرمهم طراً لألاً لهم طراً^(٤)
 لأن رحيلي كان عن حلب غدرا
 بجزم ولا استصحبتني وجهتي حجراً^(٥)
 ولو علموا قد كان يهتجى بما يطرى
 ولم يكن الدهياءُ إلاّ من استجرا^(٦)
 أستتها خزرا^(٨) مفسّلة غبرا

(١) العبدى : جمع عبد . الغطارفة جمع غطريف وهو السيد . الفر : جمع أغر وهو أبيض الوجه .

(٢) كذا في الديوان . وفي سائر النسخ « سرا » وهي تنظر إلى قوله :

ولله سر في علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان

(٣) لما : كلمة تقال للعائر : أى أنعمك الله . يقال : لعأك ، ولعماً لفلان يقول : عثرت بسيرى إلى مصر لحبوط آمال ، وإمساكى على الخسف فلا نعشت من عثرتى هذه لأنى آتيتها بسوء رأي ثم فارقتها فلا عثرت بالسير عنها لأنى أهيت لنفى بخروجى منها رشداً .

(٤) يريد بخير الناس وأكرمهم سيف الدولة ، وبشر الناس وألهمهم كافورا ، وهذه المناسبة ذكر المؤلف هذه القصيدة في هذا الموضع ليبين أن المتنبي كان بعد مفارقة سيف الدولة لا يزال يذكره تصريحاً أو تلميحاً .

(٥) فائل الرأي : ضعيفه . الحجر بكسر أوله : العقل .

(٦) « وقد برى » جميع النسخ . « وقد أرى » ببناء الفعل للمجهول عن الديوان وهو الصواب .

(٧) يقال : داهية دهياء أى شديدة وهو مبالغة كما يقال ليلة ليلاء فحذف الداهية ونزل الدهياء منزلتها . استجرا : تخفف استجراً أى تجراً . والمعنى : جسرت على اقتحام الداهية بمصر يريد ما حاق به من خطر التهلكة ثم نجوت منها فكنت أنا الداهية لا هي .

(٨) هكذا في جميع النسخ ومعناها ضيقة العيون . أو كأنها تنظر في أحد الشقين غضبا . وفي العرف : جردا . والمعنى : سأجلب الخليل على مصر كأنها أسته الرماح التى عليها فى الحدة ومضاء العزم يملوها الفبار حتى يكسوها لونه ، وهذا من هذر المتنبي ودعاويه العريضة .

وَأُطْلِعُ بِيضًا كَالشَّمْسِ مُطْلَقَةً
فَإِنْ بَلَغَتْ نَفْسِي الْمَيِّ فَبِعِزِّمَهَا
إِذَا طَلَعَتْ بِيضًا وَإِنْ غَمَرَبَتْ حُمْرًا
وَالْأَقْرَبُ قَوْلُهُ : (١)

قَطَعْتُ بَسِيرِي كُلَّ يَهْمَاءٍ مَفْرَعٍ
وَتَلَّمْتُ سِنِي فِي رِوَسٍ وَأَذْرَعٍ (٣)
وَصِيرْتُ رَأْيِي بَعْدَ عَزِيمِي رَائِدِي
وَلَمْ أُتْرِكْ أَمْرًا أَخَافُ اغْتِيَالَهُ
وَفَارَقْتُ مِصْرًا وَالْأَسْيُودُ عَيْنُهُ
أَلَمْ يَفْقَهُمُ الْخَنِي مَقَالِي وَأُنِّي
وَلَا أَرَعُوِي إِلَّا إِلَى مَنْ يَتَوَدَّئِي
أَبَا النَّتْنِ كَمْ قِيدَتْنِي بِمَوَاعِدِ
وَقَدَّرْتَ مِنْ فِرطِ الْجَهَالَةِ أَنْيَّ
أَقِمَّ عَلَى عَبْدِ خَصِيِّ مَنَافِقِ
وَأُتْرِكُ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْمَمْلُوكِ الرِّضَا
فَنَسِيَ بِحَرِّهِ عَذْبٌ وَمَقْصِدُهُ غَنِيَّ
تَنْظُلُ إِذَا مَا جِئْتَهُ الدَّهْرُ آمِنًا
وَجُبْتُ بِخَيْلِ كُلِّ صَرْمَاءٍ بَلْفَعٍ (٢)
وَحَطَمْتُ رِجْحِي فِي نَحُورٍ وَأَضْلَعُ
وَخَالَفْتُ آرَاءَ تَوَالَتْ بِمِسْمَعِي
وَلَا طَمَسَحَتْ نَفْسِي إِلَى غَيْرِ مَطْمَعٍ (٤)
حِذَارَ مَسِيرِي تَسْتَهْلُ بِأَدْمَعِ
أُفَارِقُ مِنْ أَقْلِي بِقَلْبِ مُشْتَبِعٍ (٥)
وَلَا يَطْبَبِينِي مَنزِلٌ غَيْرُ مُنْرَعٍ (٦)
مَخَافَةَ نَظْمِ اللَّفْؤَادِ مُرُوعٍ (٧)
أُقِيمُ عَلَى كِذْبِ رَصِيفِ مُصْنَعٍ (٨)
لَيْتِمَ رَدِيءِ الْفَعْلِ لِلْجُودِ مُدْعَى
كَرِيمِ الْحَيَا أَرُوعَا وَابْنِ أَرُوعِ
وَمَرْتَعُ مَرَعِي جُودِهِ خَيْرُ مَرْتَعٍ (٩)
بِخَيْرِ مَكَانٍ بَلْ بِأَشْرَفِ مَوْضِعِ

(١) معنى البيت : إن نلت ما أتمنى من أخذ مصر وقتل كافور فقد بلغت ذلك بعزم نفسي لا اتفاقا
وإن لم أبلغه فقد حرصت على أسباب الفوز به ومن حرم بعد الحرص فهو معذور .

(٢) الهماء : المفازة لا يهتدى فيها . مفرع أى مخيفة وأراد مفرعة فحذف الهاء كما يقال : لحية
ناصل . الصرماء : المفازة لا ماء بها . جميع النسخ : بهماء بالباء الموحدة تحريف . ج : جئت بدل جيت .

(٣) جميع النسخ : أذرع .

(٤) البيت محرف في جميع النسخ والتصحيح من الديوان .

(٥) كذا في ١ ، ب ، والديوان . سائر النسخ : المحصى . هامش التبيان : ولم يفهم . المشيع :

الجرى .

(٦) البيت ساقط من د ، د ، ه . يطبيني : يستهويني .

(٧) الديوان : قد بدل كم . ه : أيدتني بدل قيدتني .

(٨) ١ ، ب : لفظ الجهالة . د ، ه : لفظ الجهالة تحريف . سائر النسخ : وصيف بدل رصيف .

(٩) مقصده : قصده .

كان سيف الدولة يكاتب المتنبي
قال ابن سعيد^(١) : إن سيف الدولة كان يكاتب المتنبي ، ويُهاديه ، فقال بمدحه ، وأنفذها إليه من الكوفة ، وكان سيف الدولة قد كاتبه إليها^(٢) بأجمل مكاتبة ، وأنفذها^(٣) إليه كسوةٍ وبراً ، وعرض له بالعود

ما لنا كلُّنا جتوٍ يا رسولُ
أنا أهوى وقلبك المتبول^(٤)

إلى أن قال :

نحن أدرى وقد سألنا بنسجد
وكثيرٌ من السؤال اشتياقٌ
لا أقمنا على مكان وإن ظا
كلما رحبتُ بنا الروض قلنا
فيك مرعى جبيادنا والمطايا
والمسمونَ بالأمير كثيرٌ
أقصيرُ طريقنا أم طويلُ^(٥)
وكثيرٌ من ردّه تعليل
ب ولا يمكن المكان الرحيلُ^(٦)
حسبُ قصدنا وأنت السبيل^(٧)
وإليها وجيفنا والذميل^(٨)
والأميرُ الذي بها المأمول

(١) سائر النسخ : ابن سعد . وفي ذكر المتنبي لغزام ص ١٩ : أنه الحسن بن سعيد راوية المتنبي بحلب .

(٢) « إليها » كذا في جميع النسخ ما عدا ه فإنها ساقطة منها ولعله يريد « فيها » .

(٣) كذا في الأصل وفي سائر النسخ : وأنفذ .

(٤) سائر النسخ : كلنا جوى الجوى الذى أصابه الجوى وهو حرقه في القلب من حزن أو عشق . المتبول : الذى أسقمه الحب وأفسده . وللعكبري مناقشة لطيفة في إعراب البيت وتوجيهه

(٥) الديوان : أطويل طريقنا أم يطول ؟ أظهر تجاهلاً وهو عارف ، وهذه طريقة الشعراء ، والإنسان إذا اشتاق إلى الشيء سأل عنه ، وإذا أحب شيئاً أكثر من ذكره ، وأكثر السؤال عنه وإن كان يعرفه كقول بشر بن أبي خازم :

أسائل صاحبي ولقد أراي
بصيراً بالظعائن حيث ساروا

وكقول الآخر :

وخبرني عن مجلس كنت زينه
فقلت له كر الحديث الذى مضى
أناشده إلا أعاد حديثه
كأنى بطيء الفهم حين يعيد
بمحضرة قوم والملاء شهود
وذكرك من كثر الحديث أريد

(٦) « ا » لأقمنا تحريف . ومعنى البيت : لم نقم بمكان وإن كان طيباً لكلا يؤخرنا عن المسير ولا يمكن المكان أن يرحل معنا لنتمتع بطيبه أى لم نبال بإراحة ولم نقصد إلى لذة حتى نصل إلى المكان الذى نريده وفي البيت بعده بيان له .

(٧) أنت السبيل : خطاب للروض .

(٨) فيك : أى في الروض . الوجيف : العدر . الذميل : ضرب من سبر الإبل .

الذى زُلْتُ عنه شرقاً وغرباً وَتَدَاهُ مُقَابِلِي مَا يَزُولُ^(١)
ومعى حيثما سلكتُ كَأَنِّي كُلُّ وَجْهِ لَه بِوَجْهِهِ كَفَيْلُ^(٢)
فَإِذَا الْعَدْلُ فِي النَّدَى زَارِ سَمْعَا فَتَقْدَاهُ الْعَدُولُ وَالْمَعْدُولُ^(٣)
وَمَوَالٍ تُحْيِيهِمْ مِنْ يَدِيهِ نَعِيمٌ غَيْرُهُمْ بِهَا مَقْتُولُ^(٤)
فَرَسٌ سَابِقٌ وَرَمْحٌ طَوِيلٌ وَدِلاصٌ زَعْفٌ وَسَيْفٌ صَقِيلُ^(٥)

وأرسل إليه من بغداد قصيدةً جوابَ كتاب ورد منه في سنة ثلاث وخمسين
وثلاثمائة^(٦) وهى :

فَهَمْتُ الْكِتَابَ أَبْرَ الْكِتُوبِ فَسَمِعَا^(٧) لِأَمْرِ أَمِيرِ الْعَرَبِ
إِلَى أَنْ قَالَ :
وَمَا لَأَقِي بِلَدِّكُمْ بَعْدَكُمْ وَلَا^(٨) اعْتَضْتُ مِنْ رَبِّ نَعْمَايَ رَبِّ
وَمَنْ رَكِبَ الثَّوْرَ بَعْدَ الْجَوَا دِ أَنْكَرَ أَظْلَافَتَهُ وَالغَيْبِ^(٩)
وَمَا قَسْتُ كُلَّ مَأْوَاكِ الْبِلَادِ فَدَعِ ذَكَرَ بَعْضِ بَمْنِ فِي حَلْبِ^(١٠)
وَلَوْ كُنْتُ سَمِيْتُهُمْ بِاسْمِهِ لَكَانَ الْخَدِيدَ وَكَانُوا الْخَشْبِ
أَفَى الرَّأْيِ يُشَبِّهُهُ أَمْ فِي السَّخَا أَمْ فِي الشَّجَاعَةِ أَمْ فِي الْأَدْبِ ؟

(١) وهذا مثل قوله :

ومن فر من إحسانه حسداً له تلقاه منه حيثما سار نائل

(٢) الوجه : الجهة . له : الضمير فيه للندى . بوجهي : باتجاهي .

(٣) العدل : الملام . والمعنى : إذا عدل جواد على جوده ففداؤه العادل والمعذول لأنه المنفرد بإسداء
العوارف والنعم .

(٤) موال : أنصار وموالون يريد أنه ينعم عليهم بنعم يحبيهم بها ويقتل غيرهم بها لأن هذه النعم
قد تكون من أدوات القتال كالسيوف والرماح فهو ينعم بها على مواليه ويقتل بها غيرهم .

(٥) الدلاص : الدرود البراقة المساء . الزغف : الحكمة النج . د ، د ، ه : رصف . ب :
زصف تحريف (٦) د ، د ، ه : ثلاث وأربعين وثلاثمائة وهو خطأ تاريخي .

(٧) ب ، د ، ه : فمها . تح يف .

(٨) هكذا في « ا » والديوان . سائر النسخ « وما » . لاقى : أمسكنى وحسبني .

(٩) الغيب : اللحم المتدل تحت حنك البقرة والبيت مثل لمن يترك عظيماً إلى من هو أقل منه . والتعبير
بالركوب فيه جفاء ولا تخاطب الملوك بمثل هذا .

(١٠) المعنى : ما قسمتهم كلهم به فضلاً عن أن أقيس به بعضاً منهم .

ولما عزم أبو الطيب على الرحيل من حلب ، وذلك في ستة ست وأربعين ذهابه من حلب
 وثلاثمائة لم يجد بلداً أقرب إليه من دمشق ؛ لأن حمص كانت من بلاد سيف الدولة ، طلب اليهودي
 فسار إلى الشام ، وألقى بها عصا تَسْيَارِه ، وكان بدمشق يهودي من أهل تَسَدُّ مَرٍّ (١) الملح من المتنبى
 يعرف بابن مَسَلَك من قِبَل كافور ملك مصر ، فالتمس من المتنبى أن يمدحه ،
 فَثَقَلَ عليه ، فغضب ابنُ ملك ، وجعل كافورُ الإخشيدى يكتب في طلب
 المتنبى من ابن ملك ، فكتب إليه ابن ملك : إن أبا الطيب قال : لم أقصد العبد
 وإن دخلتُ مصر فاقصدني إلا ابن سيده (٢) ، وَنَسَبَتْ دِمَشْقُ بأبي الطيب (٣) ،
 فسار إلى الرملة (٤) ، فحمل إليه أميرها الحسينُ بن طُغْجِ هدايا نفيسة ، وخلع
 عليه ، وحمله على فرس بمركب (٥) ثقيل ، وقلده سيفاً مُحَلِي ، وكان كافورُ
 الإخشيدى يقول لأصحابه : أترونه يبلغ الرملة ولا يأتينا ؟ وأخبر المتنبى أنه واجدٌ
 عليه ثم كتب كافورُ يطلبه من أمير الرملة . فسار إليه .

وكافورُ هذا عبدُ أسودُ خَصِيٌّ مثقوب الشفة السفلى بطين قبيح القدمين ثقيلُ أصل كافور
 البدن لا فرقَ بينه وبين الأمة . وقد سئل عنه بعضُ بني هلال فقال رأيت أمة (٦) ب
 سوداء تأمر وتنهى ، وكان هذا الأسودُ لقوم من أهل مصر يُعرفون ببني عياش يستخدمونه
 في مصالح السوق ، وكان ابنُ عياش يربط في رأسه جبلاً إذا أراد النوم فإذا أراد
 منه حاجة جذب به بالحبل لأنه لم يكن يَسْتَبِيهُ بالصياح ، وكان غلمانُ ابنِ طُغْجِ
 يَصْفَعونه في الأسواق كلما رأوه فيضحكُ فقالوا هذا الأسودُ خفيفُ الروح ،
 وكلموا صاحبه في بيعه فوجهه لهم ، فأقاموه على وظيفة الخدمة ، ومات سيدهُ

(١) > ، د ، هـ : مصر (خطأ) . تدمر : مدينة قديمة مشهورة في بركة الشام بينها وبين حلب

خمس أيام .

(٢) يظهر أن هذه الرواية غير صحيحة لأنه لا يعقل أن يسب المتنبى كافورا وهو عازم على دخول

مصر ولأنه لا يعقل أن يجه ابن ملك كافورا بهذه العبارة ولو صدرت من المتنبى .

(٣) > ، د ، هـ : بالمتنبى .

(٤) الرملة : بلد بفلسطين .

(٥) هـ : بمركب .

(٦) أمة : ساقطة من هـ .

أبو بكر بن طغج وولده صغير، وتقيد الأسود بخدمته^(١) وأخذت البيعة لولد سيده ، وتفرد الأسود بخدمته^(١) وخدمة والدته ، فقرب من شاء^(٢) وبعد من شاء^(٢) فنظر الناس إليه من صغرت هممهم ، وخسة أنفسهم ، فسابقوا إلى التقرب إليه ، وسعى بعضهم ببعض حتى صار الرجل لا يأمن أهل داره على أسراره ، وصار كل عبد بمصر يرى أنه خير من سيده ، ثم ملك الأمر على ابن سيده وأمر ألا يكلمه أحد من ممالك أبيه ، ومن كلمه أتلفه ، فلما كبر ابن سيده وتبين ما هو فيه جعل يبسوح بما هو في نفسه في بعض الأوقات على الشراب فتفرع الأسود منه ، وسقاه سمًا فقتله ، وخلت مصر له .

ولما قدم أبو الطيب عليه أمر له بمنزل ، ووكل به جماعة وأظهر التهمة له ، وطلبه بمدحه فلم يمدحه فخلع عليه ، فقال أبو الطيب في سنة ست وأربعين وثلاثمائة بمصر يمدحه بقصيدته التي أولها :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يسكن أمانيا^(٣)

إلى آخرها، وكان وعده أن يبلغه ما في نفسه فأنشده قصيدته التي أولها :

مِنَ الْجَادِرُ فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ حَمْرَ الْحَلِيِّ وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيبِ^(٤)

(١ - ١) العبارة ساقطة من سائر النسخ .

(٢ - ٢) « وبعد من شاء » ساقطة من سائر النسخ . - ، د ، هـ : « فتقرب » بدل « فنظر » .

(٣) ليس من شك في أن هذا مطلع فيه سوء مواجهة ولا يشفع للمتنبئ إلا أنه كان يقصد ذلك لاحتقاره كافورا ومعنى البيت : يخاطب نفسه فيقول إذا كنت في حال ترى شفاءك منها الموت فتلك الحال هي أشد الأدواء عليك وإن كنت بريئاً من الداء .

وفي سائر النسخ البيت التالي للمطلع هو :

تمنيها لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا أو عدواً مداجيا

والضمير في تمنيتها للمنايا والمداجاة : مساترة العداوة . اقرأ ص ١١٣

(٤) من : استفهام . الجادر : جمع جؤدر وهو ولد البقرة الوحشية تشبه بها النساء لحسن عيونها . الأعراب : جمع أعراب وهم سكان البادية . الجلابيب : جمع جلباب وهو الملحفة تلبسها المرأة فوق ثيابها يقول : من هؤلاء النساء الشبهات بالجادر وهن في زي الأعراب، وحمرة الحلي كناية عن كونها ذهباً والنياق الحرم أكرم النياق عند العرب والحمرة لون ملابس الأشراف عندهم، والقصيد طويلة تبلغ ستة وأربعين بيتاً .

وقوفه بين يدي كافر
 وكان يقفُ بين يدي كافر وفي رجله خُفان وفي وسطه سيفٌ ومنطقةٌ
 ويركبُ بحاجبين من مماليكهما بالسيوف والمناطق ، وكان لا يجلس في مجلس
 كافر ، فأرسل إليه مَنْ قال له قد طال قيامك بأبا الطيب في مجلسه ؛ يريد
 أن يعلمَ ما في نفسه .

فقال ارتجالاً :

يقلّ له القيامُ على الرعوس وبذلُ المكرّماتِ من النفوس
 إذا خانته في يوم ضحكوك فكيف تكون في يوم عبّوس^(١)

قلتُ : ينبغي التعجبُ ! لا يرضى أبو الطيب أن يُنشدَ قائماً عند سيفِ الدولة
 وهو على ما كان عليه* ، وبُعْدِ اشتهار^(٢) في أقطار الأرض ، ومعرفة ملوكها
 بفضله . فعلٌ ما سمعته . ورأيت^(٣) له قصيدة ليست في ديوانه يرثى بها أبا بكر
 ابن طغئج الإخشيد^(٤) أولها :

هو الزمان مُشيتٌ بالذي جمعا في كلِّ يومٍ ترى من صرّفه بدعا
 إن شئتَ مُتٌ أسفاً أو فابتق مضطرباً قد حلّ ما كنتَ تخشاه وقد وقعا
 لو كان ممتنعٌ تُغثيه ممتعته لم يصنع الدهرُ بالإخشيد ما صنعا^(٥)

وهي طويلة لم يحضرنى منها إلا هذه الأبيات

وسأل أبو الطيب كافوراً أن يُؤليه صيّداء من بلادِ الشامِ أو غيرها من بلاد
 الصعيد ، فقال له كافر : أنتَ في حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمّت
 نفسك إلى النبوة فإن أصبتَ ولايةً وصار لك أتباعٌ ، فن يَطيقُك ؟

سؤاله كافوراً
 أن يؤليه صيدا

(١) المكرمات : النفوس الكريمة ، والضمير في (خانته) يعود على النفوس ، والمعنى : إذا
 لم تحفظ النفوس حقه ولم تقم بخدمته في السلم فكيف تخدمه في الحرب ؟

• كذا في الأصول ، وفي العبارة نقص يفهم من السياق
 (٢) سائر النسخ : اشتهاره .

(٣) (رأيت) ساقطة من سائر النسخ .

(٤) هو سيد كافر وقد تقدم أنه اشتراه من قوم من أهل مصر يعرفون ببني عياش ، والإخشيد
 لقب أبي بكر محمد بن طغئج لقبه به الخليفة الراضي قال ابن خلكان : وإنما لقبه به لأنه لقب ملوك
 فرغانة وهو من أولادهم ، وتفسيره بالعربي : ملك الملوك .

(٥) روى الشطر الأول من هذا البيت محرفاً في - ، د ه .

وقوع الوحشة
بينهما

ثم وقعت الوحشةُ بينهما ، ووضَعَ عليه العيون والأرصَادُ خوفاً من أن يهْرُبَ وأحسَّ المتنبي^(١) بالشر . قال الوحيد^(٢) كنت بمصرَ وبها أبو الطيب ، ووقفت من أمره على شفقاً الهلاكَ * ودعتني نفسي لِحَبِّ أهلِ الأدبِ إلى أن أحثَّهُ على الخروج من مصرَ فخشيتُ على نفسي أن يشيعَ ذلك عني ، وكان هو مستعداً للهرب ، وإنما فات أظافير الموت ، ومخالب المنية من قُرْب ، وهو جنى ذلك على نفسه ، لأنه ترك مدح ابن حنْزَابة^(٣) وهو وزيرُ كافور ، والمقربُ منه ، وهو مع ذلك من بيت شريف أهلِ وزارة ورياسة ومن العلم والأدب بموضع جليل ، وهو بابُ الملك ، فأتى من غير الباب ، وأنشد القصيدة الياثية ، وأولها « ما »^(٤) يُتَبَطِّيرُ منه . كيف لا ويرآعتها^(٥) :

كفّمتي بك داءً أن ترى الموتَ شافياً وحسبُ المنايا أن يَمَكُنَّ أمانياً
تمنيتهما لما تمنيت أن تترى صديقا فأعيا أو عدواً مُدْاجِياً

قلت : تذكرت بهذا البيتِ حكاية وهي^(٦) ما حدث محمد بن الحسن الخوارزمي قال : مررت بمحمد بن موسى الملقب بسبيويه المُوسَوَسُ * وهو يقول مدح الناس المتنبي على^(٧) قوله :

(١) هذه الرواية غير معقولة ؛ لأن دهاء كافور يأبى عليه أن يواجه المتنبي بهذه الصراحة ، فقد كان يميل إلى إغرائه بالوعود ، واستبقائه في ملكه ، ولعل أحد حماد المتنبي أوحى إلى كافور بمثل هذا ، أو أن كافورا أسر به لبعض حاشيته .
(٢) في الأصول (الوحيدى) والصواب (الوحيد) وهو سعد بن محمد بن علي بن الحسن الأزدي أبو طالب المعروف بالوحيد أحد شراح ديوان المتنبي ، مات سنة ٣٨٥ هـ (بقية الوعاة) .
« يقول إنه أوشك أن يصيبه الضرر والهلاك بسبب أمر المتنبي لأنه كان من المناصرين له المطلعين على خبيثة أمره .

(٣) ابن حنْزَابة هو الوزير جعفر بن الفرات أصله من العراق من بيت شرف ورياسة .

(٤) ح ، د ، هـ : ما

(٥) يريد ومظلمها .

(٦) سائر النسخ : وهو .

* هو من البصرة وقد عاش بمصر أيام كافور ولقى بها المتنبي وناقشه فيما ذكره المؤلف وكان يشبه في حضور جوابه وبيان خطابه وحسن عبارته وكثرة دراسته بأبي العيناء وكان قد تناول البلاذر فعرضت له منه لوتة ، له ترجمة في الليثيمة ح ١ ص ٤٣٣ ، ٣٤ مكتبة الحسين التجارية وله ترجمة وأخبار كثيرة في زهر الآداب ح ٢ ص ٧٩٠ - ٩٢ طبعة عيسى الحلبي .

(٧) ب ، ح ، د : عن . هـ : عند ، وكلاهما تحريف .

ومن نكده الدنيا على الحرّ أن يرى عدواً له ما من صداقته بُدّ

ولو قال ما من مداراته أو من مداجاته بُدّ لكان أحسن وأجود قال : واجتاز المتنبى به فوقف عليه وقال أيها الشيخ أحبّ أن أراك ، فقال له رعاك الله ، وحيّاك ، فقال له بلغني أنك أنكرت علىّ قولي : عدواً له ما من صداقته بُدّ فما كان الصواب عندك ؟ فقال له إنّ الصداقة مُشتقة من الصدق في المودة ، ولا يسمى الصديق صديقاً وهو كاذب في مودته ، فالصداقة إذن ضدّ العداوة ، ولا موقع لها في هذا الموضع ، ولو قلت ما من مداراته أو مداجاته لأصبّت . هذا رجل منا : يريد نفسه قال :

أتاني في قميص اللاذ^(١) يسعى عدوٌّ لي يُلقب بالحبيب

فقال المتنبى : أمع هذا غيره ؟ قال نعم :

وقد عيّث الشرابُ بوجنتيه فصير خدّه كَسَنَتَا اللهب
فقلتُ له متى استعملتَ هذا لقد أقبلتَ في زىّ عجيب
فقال الشمس أهدتُ لي قميصاً مليحَ اللونِ من نسجِ المغيب
فتوبى والمدامُ ولونُ خدّي قريبٌ من قريبٍ من قريب

فتبسم المتنبى وانصرف وسيبويه يصيح عليه : أُبُكم الرجل وحلال الله^(٢) وكان^(٣) المتنبى يذكر قول سيبويه في هذا البيت . قال الوحيد^(٤) وهذا الابتداء مما تمجده الأسماع فقبح ابن حنّابة أثره ، ثم لم يزل يذكر سواد كافور ، ووراءه

(١) اللاذ : ثياب من حرير تنسج بالصين تسميها العرب والعجم : اللاذ . (المخصص ح ٤ ص ٦٨) .

(٢) و «جلال الله» كررت مرتين في ح ، د ، هـ . ويدافع أبو الفتح عن أبي الطيب نقلاً عن العكبري بقوله : لو قال ما من مداجاته لكان أشبه والذي قاله أحسن في اللفظ وأقوى في المعنى وحسنه أنه ذكر العدو وضده ، وفي قوة المعنى أن المداجي المسائر للعداوة ، وقد يسائر العداوة من لا يظهر الصداقة ، فإذا أظهر الصداقة لم يكن له من إظهارها بد ، فهو يعانى من ذلك أمراً عظيماً ، وتكدنا في الحياة ، فهو أسوأ حالاً من المداجي .

(٣) سائر النسخ : « وكان » ولكل وجه .

(٤) صحح وترجم له في الصفحة السابقة هامش رقم (٢) .

من ينبه على عيوبه كقوله في قصيدته التي أولها :

إنما التهنئاتُ للأكفاءِ ولن يدنني من البُعداءِ^(١) ذكره سواد
كافور

إلى أن قال :

إنما يفخر الكريمُ أبوالمس لك بما يبتغي من العلياءِ
وبأيامه التي انسلختْ عن ه وما داره سوى الهيجاءِ
وبما أثرت صوارمه البيه ضُ له في جماجم الأعداءِ
وبمسك يُكسني به ليس بالمس لك ولكنه أريجُ الثناءِ
ومنها^(٢) :

نزلتْ إذ نزلتْهما الدارُ في أح سنَ منها من السنأ والسناءِ
حلَّ في منبت الرياحين منها^(٣) منبتُ المكرمات والآلاءِ
تفضحُ الشمسُ كلما ذرتْ الشم س بشمسٍ منيرة سوداءِ
إن في ثوبك الذي المجدُ فيه لضمياءً يُزرى بكل ضياءِ^(٤)
إنما الجلد ملتبسٌ وبيضاضُ الن فس خيراً من ابيضاضِ القبياءِ
كرمٌ في شجاعة وذكاءٌ في بهاءٍ وقدره في وفاءِ
من لببيض الملوكِ أن تبديل اللو ن بلون الأستاذ والسحناءِ^(٥)
يا رجاءَ العيون في كل أرض لم يكن غيرَ أن أراك رجائى

فكان يقول ابن حنزابنة إنه هزئ^(٦) بكافور في هذه الأبيات ، ويسهل على الناس أمر لونه ، ويحسنه له . قال الوحيد : كان المتنبي يعلم أن ذكر السواد

(١) يقال إن الأسود بنى داراً بإزاء الجامع الأعلى في القطائع على بركة الفيل بالقرب من حى طولون ، وتحول إليها ، وهنأه الناس بها وطالب أبا الطيب بأن يقول في ذلك ، فقال : إنما التهنئات . . .

(٢) ساقطة من ح ، د ، ه وهي لازمة لأن هذه الأبيات ليست متتابعة كما يعلم من الديوان .

(٣) كذا في الديوان . وفي جميع النسخ : منه .

(٤) ذرت الشمس : بدت أول ما تطلع ، وأراد بالإشارة الشهرة لأن المشهور منير أو النقاء من

العيوب ، ويدل على هذا المعنى الذي يليه .

(٥) السحناء : الهيئة .

(٦) ح ، د ، ه : هذى .

على مسامع كافور أمرٌ من الموت فاذا ذكّرَ لونه بعد ذلك فقد أساء إلى نفسه وعرضها للقتل والحرق ، وكان من إحسان الصنعة ، وإجمال الطلب ألا يذكر لونه ، وله عنه (١) مندوحة ، ولكن (٢) الرجل كان سيئ الرأي ، وسوء رأيه أخرجه من حضرة سيف الدولة ، وشدة (٣) تعرضه لعداوة الناس ، وقد ذكر سواد كافور في عدة مواضع ، وكان اللائق ألا يذكره إلا كقوله :

فجاءت بنا إنسانَ عينِ زمانه وخلتْ بياضًا خلفها وما قيا (٤)

وهذا في أعلى طبقات الإحسان (٥) لكونه كنى عن سواده بانسان عين الزمان .

ومن هذه القصيدة :

فتى ما سريتنا في ظهور جدودنا إلى عصره إلا نرجى التلاقيا

ومنها :

أبا المسك ذا الوجه الذى كنت تائقا إليه وذا الوقت الذى كنت راجيا (٦)
أبا كل طيب لا أبا المسك وحده وكل سحاب لا أخص الغواديا

(١) د ، د ، هـ : عنده ، تحريف .

(٢) ح ، د ، د ، هـ : وكان ، تحريف .

(٣) وشدة : بالرفع عطف على : وسورأيه .

(٤) كذا في الديوان ، ح ، د ، د ، هـ . وفى ا ، ب : وجازت وهى ضعيفة . والضمير فى :

« فجاءت » يعود إلى الجرد فى البيت : وجردا مددنا بين آذانها القنا . والمآق جمع مآق وهو طرف العين مما يلي الأنف . ومعنى البيت أن كافورا بمنزلة السواد من العين ، وغيره بمنزلة البياض الذى لا ينتفع به فى النظر ، وهذا البيت فى معنى قول ابن الرومى فى سواده :

أكسبها الحب أنها صبغت صبغة حب القلوب فى الحدق

إلا أن المتنبي فضل السواد على البياض ، وقال بعض النقاد ما مدح أسود بأحسن من هذا ، وفى تفضيل السواد على البياض جاء قول الشريف الرضى يصف سواده :

أحبك يا لون الشباب لأننى رأيتكما فى العين والقلب تووما

سكنت سواد القلب إذ كنت شبهه فلم أدر من عز من القلب منكما

(٥) ح ، د ، د ، هـ : طبقات البلاغة والإحسان .

(٦) الديوان : « وذا اليوم » بدل : « وذا الوقت » . وأبو المسك كنية كافور لسواده ، والبيت

يحتمل الهجاء أيضاً .

يُدِلُّ بِمَعْنَى وَاحِدٍ كُلُّ فَاحِرٍ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيكَ الْمَعَانِيَا^(١)
وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوْ رَأَيْتَ لِنَسْلِهِ فِدَايَ ابْنِ أَخِي نَسْلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا^(٢)

قال أبو الفتح بن جني لما قرأت قوله في كافور على أبي الطيب :

وما طربى لما رأيتك ببدعة^(٣) لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب^(٤)
فقلت له لم تزد^(٥) على أن جعلته أبا زنتة^(٥) ، فضحك أبو الطيب ، فإنه
بالذم أشبه منه بالمدح . وبعد هذا البيت :

وَتَعَسَدْتُ لِي فِيكَ الْقَوَافِي وَهَمِّي كَأَنْتِي بِمَدْحٍ قَبْلَ مَدْحِكَ مَذْنَبٌ^(٦)

ومن هذه القصيدة :

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ^(٧) تملئ عليّ وأكتب^(٧)
إذا ترك الإنسان أهلا وراءه ويمم كافورا فما يتغرب^(٨)

(١) هو من قول الحكيم : كأنما أنت شيء حوى جميع المعاني .

ويقول ابن جني : لما وصلت إلى هذا البيت ضحكت ، وضحك ، وعرف غرضي وهو أنه قصد به الهجاء .

(٢) ح ، د ، هـ : ومن قول سام لا أراك . . . تحريف ، وسام هو ابن نوح ينسب إليه البيض ، وحام أخوه ، وينسب إليه السودان ، والمعنى : لو رأيت سام بن نوح لكان من قوله لنسله هذه العبارة : فدى ابن أخي نسلي ونفسي ومالي .

(٣) كذا في الديوان . جميع النسخ : وما طربى أي . . . ما عدا (ب) ففيها « أن » تحريف .

(٤) « لم » ساقطة من ب ، د ، هـ .

(٥) أبا زنتة : كنية القرد .

(٦) الشطر الأول هجاء صريح لولا الشطر الثاني وهو من قول أبي تمام :

وهل كنت إلا مذنباً يوم أنتحي سواك بأمالى فجتتك تائباً

(٧) كذا في « ا » والديوان . وفي سائر النسخ « تشأ » ولا تتفق مع السياق .

(٨) هذا من قول الطائي :

هم رهط من أمسى بميدا رهطه وبنو أبي رجل بغير بني أب

وهذا من قول الآخر :

نزلت على آل المهلب شاتيا غريبا عن الأوطان في زمن الخل

فا زال بي إكرامهم وافتقارهم وبرهم حتى حسبهم أهلى

وواضح جداً تفوق المتنبي على هذين .

ومنها (١) :

إذا ضربت في الحرب بالسيف كفه
تزيد عطاياها على اللبث كثرة
أبا المسك هل في الكأس فضل أنا له
وهبت على مقدار كفتي زماننا
إذا لم تنشط بي ضيعة أو ولاية
يضاحك في ذا العيد كل حبيبه
أحين إلى أهلي وأهوى لقاءهم
فإن لم يكن إلا أبو المسك أوهم
إلى أن قال في اثنتاهما :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً
وهذا البيت يستخرج منه (٨) معنيان ضدان أحدهما أن المنعم يحسد المنعم
عليه (٩) ، وكذلك (١٠) ورد قوله في كافور :

فإن نلت ما أملت منك فربما
شربت بماء يعجز الطير ورده

(١) ساقطة من سائر النسخ والأبيات غير متتابعة كما في الديوان .

(٢) ومثله للبحرئى :

فلا تغلين بالسيف كل غلاته ليمضى فإن الكف لا السيف يقطع

(٣) يتدفق في الطلب أبو الطيب في هذا البيت .

(٤) شغلك يسلب أى أن انصرافك عنى يسلبنى ما كسوتنى من جود ونعمة .

(٥) في هذا إيقاظ لكافور واستنهاض له .

(٦) عنقاء مغرب على الوصف والإضافة من قولهم : أغرب في البلاد وغرب إذا أبعد وذهب وهو مثل قيل كانت طائرا عظيما اختلطت صبيا وجارية وطارت بهما فدعا عليها حنظلة بن صفوان وكان نبي ذلك الزمان فغابت إلى اليوم فقيل لكل من فقد طارت به عنقاء مغرب . والعنقاء اسم للذكر والأنثى وهذا من خرافات العرب ومزاعمهم .

(٧) كذا في ا ، ب ، الديوان . ح . د ، هـ : لمن كان . . .

(٨) ح ، د ، هـ : له .

(٩) وثانيهما على العكس من الأول . ويحتمل معنى ثالثا هو أن أظلم الظالمين من بات يحسد رب كل نعمة كائناً من كان .

(١٠) سائر النسخ : ولذلك .

فإنه إذا أخذ بمفرده من غير نظر إلى ما قبله فإنه بالذم أولى منه بالمدح ؛ لأنه يتضمنُ وصفَ نواله بالبعد ، وصدر البيت مفتتح بإن الشرطية ، وقد أُجيبَت بلفظ رب التي معناها التقليل (١) ، أى لست من نوالك على يقين ، فإن نلته فقد وصلت إلى مورد لا يصل إليه الطير لبعده .

المدح الموجه

وكثيراً ما يقصد المتنبي هذا القسم (٢) في كافورياته كقوله :

عدوُّك مذمومٌ بكلِّ لسانٍ ولو كان من أعدائك القمران
ولله سرٌّ في عملاك وإنما كلامُ العدا ضربٌ من الهديان (٣)

إلى أن قال في أواخرها (٤) :

قضى الله يا كافورُ أنكَ أولُ وليس بقاضٍ أن يُرى لك ثانٍ
فما لكَ تختار القسيَّ وإنما عن السعد يرمى دونك الثقلان
وما لكَ تُعنى بالأسنة والقنصا وجلدك طعانٌ بغير (٥) سنان
ولم تحملُ السيفَ الطويلَ نجادُه وأنت غنيٌّ عنه بالحدَّ ثانٍ (٦)

(١) : التعليل . تحريف .

(٢) يظهر لنا أن هذا الكلام منقول من كتاب المثل السائر : الفصل الثالث في الحكم على المعاني ففيه ذكر الفرق بين التفسير والتأويل وأن التأويل على أقسام ثلاثة : منها أن يدل الكلام على المعنى وضده وهو قليل الوقوع في الكلام ، ويدل على براعة الشاعر وحسن تأتبه وقد ذكر أمثلة لذلك منها بيت المتنبي : وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا . . . ومنها : فإن نلت ما أملت منك . . . ثم قال : وكثيراً ما يقصد المتنبي هذا القسم في شعره فهذا القسم أى من أقسام التأويل التي ذكرها صاحب المثل السائر .

(٣) هذا البيت إلى الهجاء أقرب لأنه نسب علوه إلى قدر جرى به من غير استحقاق ، والقدر قد يوافق بعض الناس فيعلو وإن كان ساقطاً باتفاق من القضاء .

(٤) : ه ، د ، ح ، آخرها .

(٥) كذا في الديوان : وجميع النسخ : بكل . ورواية الديوان أجود في المدح .

(٦) يشير في هذا البيت والبيتين قبله إلى مصرع شبيب الذي لم يقتل بشيء من السلاح ، وشبيب هذا هو شبيب بن جرير العقيلي كان والياً بعان والبلقاء وما بينهما وقد عظم أمره حتى اجتمعت إليه العرب وكثرت حوله وطمع في الأسود وسولت له نفسه أخذ دمشق والعصيان بها وبعد أن كاد يفتح دمشق سقط عن جواده ميتاً وهزم أصحابه ، وأخذ رأسه إلى مصر ، فطالب الأسود أبا الطيب بذكره فأنشد هذه القصيدة ومنها :

برغم شبيب فارق السيف كفه وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه رفيقك قيسي وأنت يمان

وبعد ذلك تستطيع أن تفهم أن كافوراً ينتصر بالخط لا بالشجاعة ولذلك من الممكن أن نفهم أن هذه الأبيات هجاء أيضاً .

وهذا مما^(١) يدل على براعة البليغ وقدرته على المعاني ، ومثله ورد في الحديث النبوي من كلام النبوة الأولى (إذا لم تستحي^(٢) فاصنع ما شئت) فهذا الحديث على معنيين ضدين^(٣) ومثله قول الفرزدق^(٤) :

إذا جعفر مرت على هضبة الحمى فقد أخزت الأحياءَ منها قبورها^(٥)

فإنه يدل [أيضًا]^(٦) على معنيين : أحدهما ذم الأموات ، والآخر مدح الأموات^(٧) . وقوله أيضًا في كافور :

فدئى لأبى المسك الكرامُ فإنها سوابقُ خيلى يهتدين بأدهم^(٨)
أغرَّ بمجدٍ قد شخصن وراءه إلى خلقت رَحْبَ ، وخالقت مُطهِم^(٩)

ومن رام معرفة مُرادِ أبى الطيب في هذين البيتين فعليه بقول ابن الرومي وهو^(١٠) :
هم الغرةُ البيضاءُ من آلِ مُصْعَبِ وهُمُ بقعةُ التحجيل والناسُ أدْهم

وكان أبو الطيب يأنس بمصر بفاتك الإخشيدي المعروف بالجنون ، ومدحه بالقصيدة التي أوطأ :

مدحه ورثاؤه
لفاتك

(١) ه : ما .

(٢) سائر النسخ : إذا لم تستح وهي رواية .

(٣) أحدهما إذا لم تفعل فعلا تستحي منه فاعل ما شئت ، والآخر إذا لم يكن عندك حياة يزك عن فعل ما يستحي منه فاعل ما شئت والأول مدح والثاني ذم .

(٤) الفرزدق : هو أبو فراس همام بن غالب أحد قحول الشعراء الأمويين وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لعصرها . ويمتاز شعره بفخامة الألفاظ وخشونة المعاني والميل إلى الفخر مات سنة ١١٤ هـ .

(٥) جعفر بن كلاب أبو قبيلة .

(٦) ساقطة من ا ، ب .

(٧) أما ذم الأموات فهو أن لم يخازي يستحي منها أبناؤهم إذا مروا بقبورهم . وأما مدحهم فهو أنهم ثبتوا في المعركة وفر عنهم الأحياء .

(٨) الضمير في « فإنها » عائد على الكرام والذي حملة على أن يقول « فإنها » أنه شبههم بالسوابق ولو قال : فإنهم سوابق لكان جيدا .

(٩) أغر : ذو غرة وهو صفة لأدهم في البيت قبله . شخصن : رفعن أنظارهن . مطهم : حسن أوتام الحلقة .

(١٠) وهو : ساقطة من سائر النسخ .

لا خيلَ عندك تُهديها ولا مالٌ
فَلَيْسَ عِدَ النطقُ إن لم تُسعدِ الحالُ^(١)
وَأَجْزُ الأَميرِ الذى نَعماه فاجئَةٌ
بغير قولٍ ونُعْمى الناسِ أقوالُ^(٢)

فتروى فاتك^(٣) ورثاه المتنبى وهجا كافورا بقصيدة أولها :

الحزنُ يُقلقُ والتجملُ يَرُدعُ
والدمعُ بينهما عصيَ طيِّعُ

ومنها :

تصفو الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ
عما مضى فيها وما يُتوقعُ

ومنها :

كنا نظنُّ دياره مملوءةً
المجد أحسرُ والمكارمُ صفقةً
ذهباً فمات وكل دار بلقعُ
من أن يعيش لها الكريم الأروع^(٤)

ومنها :

يا من يُبدلُ كلَّ يوم حُلَّةً
لا^(٧) زلتَ تخلعها على من شاءها
أنى^(٥) رضيتَ بحلَّةٍ لا تُنزعُ^(٦)
حتى لبستَ اليومَ مالا يُخلعُ

ومنها :

مَنْ للمحافلِ والحصافلِ والسُّرى
ومن اتخذت على الصفوفِ^(٨) خليفةً
فتمدَّتْ بفقدك نيراً لا يتطلعُ
ضاعوا ومثلك لا يكاد يُضيعُ

(١) يخاطب الشاعر نفسه وهذا من قول يزيد بن المهلب :

إن يعجز الدهر كفى عن جزائكم
فإننى بالثنا والشكر مجتهد

(٢) ١ ، ب والديوان : فاجئة . سائر النسخ : واجبة . وفى هذا تعريض بكافور وقد صرح

بهذا المعنى فى كافور إذ يقول :

جود الرجال من الأيدى وجودهم
من اللسان فلا كانوا ولا الجود

(٣) قال ابن جنى : كان المتنبى يترحم على فاتك ولم أره أشكر لأحد من فاتك .

(٤) الأروع : الذكى الفؤاد . والمعنى : شقيت المكارم والمجد بموت من كان يميزهما . الديوان :

الهام .

(٥) أنى : كيف .

(٦) ٥ ، د ، ح : لا تنفع .

(٧) الديوان وسائر النسخ : ما زلت . وفى ٥ ، د ، هـ : شافها فى موضع شاهها . تحريف .

(٨) الديوان وسائر النسخ : الضيوف .

قبحاً لوجهك يا زمانُ فإنه
أيموتُ مثلُ أبي شجاعٍ فاتكِ
وجهٌ له من كل لؤمٍ (١) برقعٌ (٢)
ويعيشُ حاسدُهُ الخصىُّ الأوكعُ (٣)

وله فيه أيضاً من قصيدة^٤ قالها بعد رحيله من مصر وهي (٤) :

من لا تشابههُ الأحياءُ في شيمٍ
عَدِمَتْهُ وكأني سرتُ أطلبه
ما زلتُ أضحكُ لبلى كلما نظرتُ
أسيرها بين أصنامٍ أشاهدها
حتى رحعتُ وأقلامي قوائِلُ لى
اكتبُ بنا أبداً بعد الكتابِ به
أسمعتني (١٠) ودوائى ما أشرتِ به
من اقتضى بسوى الهندي حاجته
أمسى (٥) تُشابههُ الأمواتُ في الرّمَمِ
فما تزيدني الدنيا على العدمِ
إلى من اختضبتُ أخفافها بدمٍ (٦)
ولا أشاهدُ فيها عِفَّةَ الصنمِ (٧)
المجدُ للسيفِ ليس المجدُ للقلمِ (٨)
فإنما نحن للأسيافِ كالخدمِ (٩)
فإن غفلتُ فدائى قلةُ الفهمِ
أجاب كلَّ سؤالٍ عن هلٍ بِلَمٍ (١١)

(١) الديوان : قبح .

(٢) د ، د ، د ، هـ : موقع مكان برقع .

(٣) كذا في ١ ، والديوان . سائر النسخ : الأوكع . والأوكع وصف من الوكع وهو عيب في اليد والرجل ويكون في العبد ، والأوكع : الأحقق أيضاً . والأكع : من الكع وهو تشنج في اليد .
* مطلعها :

حتام نحن نسارى النجم في الظلم
وما سراه على خوف ولا قدم

(٤) وهي : ساقطة من سائر النسخ .

(٥) كذا في الديوان . وفي سائر النسخ : أمست .

(٦) يقول : ما زلت أسافر عليها إلى ما لا يستحق القصد إليه فلو كانت الإبل ممن يضحك لضحكست استخفافاً إذا نظرت إلى من كلفتها مشقة السفر وقطع الفلوات إليه حتى اختضبت أخفافها بالدم .
(٧) يذم بعض من يقصدهم بأنهم كالأصنام بل الأصنام أفضل منهم لأنهم لا يعفون عن منكر ولا قبيح .

(٨) في هذا البيت نظر إلى قول أبي تمام :

السيف أصدق أنباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

(٩) الكتاب : الكتابة . جعل الضرب بالسيف كتابة والبيت من قول البحترى :

تمنوا له وزراء الملك خاضعة
وعادة السياف أن يستخدم القلما

(١٠) الخطاب للأقلام وقد أكده بالبيت بعده .

(١١) يقول : من طلب حاجته بغير السياف أجاب سائله عن قوله : هل أدركت حاجتك؟ بقوله لم أدرك . والمتنبي شاعر يدين بالقوة ويرأها الوسيلة العملية لدرك المطالب وهو الذي يقول :
من أطاق التماس شيء غلابا
واغتصابا لم يلتسه سؤالا

وآخر ما مدح به كافوراً قصيدته التي أولها :

مُنَى كُنْ لِي أَنْ الْبِيَاضَ خِضَابٌ فَيَخْتَقِي بِتَبْيِيضِ الْقُرُونِ شَبَابٌ^(١)
 لِيَلِيَ عِنْدَ الْبِيضِ فَوَدَايَ فِتْنَةٌ وَفَمَخْرٌ وَذَاكَ الْفَخْرُ عِنْدِي عَابٌ^(٢)
 فَكَيْفَ أَدَمَ الْيَوْمَ مَا كُنْتُ أَشْتَبِي وَأَدْعُو بِمَا أَشْكُوهُ حِينَ أَجَابُ^(٣)
 جَلَا اللَّوْنُ عَنِ لَوْنِ هَدَايَ كُلِّ مَسْلَكٍ كَمَا انْجَابَ عَنِ ضَوْءِ النَّهَارِ ضِيَابٌ^(٤)
 وَفِي الْجِسْمِ نَفْسٌ لَا تَشِيبُ بِشَيْبِهِ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْوَجْهِ مِنْهُ حِرَابٌ^(٥)
 لَهَا ظُفْرٌ إِنْ كُلَّ ظُفْرٍ أُعِيدَ وَنَابٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ فِي الْفَمِ نَابٌ^(٦)
 يُغَيِّرُ مِنِّي الدَّهْرُ مَا شَاءَ غَيْرَهَا وَأَبْلَغُ أَقْصَى الْعُمُرِ وَهِيَ كَبْعَابٌ^(٧)
 وَإِنِّي لِنَجْمٍ تَهْتَدِي صُحْبَتِي بِهِ إِذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابٌ
 غَنَى عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفْزِنِي إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابٌ

ومنها :

وهل نافعِي أَنْ تُرْفَعَ الْحُجُبُ بَيْنَنَا وَدُونَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْكَ حِجَابٌ^(٨)

(١) القرون : الذوائب أي صفائر الشعر . يقول : إنه لرغبته في شرف المشيب لأنه أوقر وأجل في العين كان يتمنى في شبابه أن يكون بياض الشيب خضاباً يستر به سواد الشعر كما يستر الشيوخ بياضه بالسواد .

(٢) القودان : جانبا الرأس . كان يتمنى المشيب في الليالي التي كان رأسه فيها فتنة عند النساء لحسن شعره وسواده . ولكن يفتخرون بوصله ، إلا أن ذلك الفخر عيب عنده لأنه مباين للعفة والكمال .

(٣) المعنى : فكيف أشكو الشيب اليوم وقد كنت أتمناه وأنا شاب . وقد احتدى في هذا ابن الرومي حيث يقول :

هي الأعين النجل التي كنت تشتكي مواقعها في القلب والرأس أسود

فألك تأسى الآن لما رأيتها وقد جعلت تروى سواك وتعمد

فنقل نظر الأعين إلى ذكر المشيب والشباب .

(٤) جلا : كشف . وأراد باللون الأول السواد وبالثاني البياض والمعنى : كأن بياض الشيب

كان مستورا تحت السواد فلما زال السواد عنه انكشف فاهتدى صاحبه في كل مسلك من الرشد كالنهار إذا انكشف عنه الضباب فاهتدى السالك في ضوءه .

(٥) سائر النسخ : لا تشيب بشيبة . ، جراب مكان حراب وهذه تحريف ويريد بالبيت أن

همته قوية .

(٦) لها : أي للنفس والبيت حرف في سائر النسخ .

(٧) الكعاب : الفتاة تكعب ثديها وبرز .

(٨) في هذا تصريح بأنه لم يتل ما كان يأمل في كافور وأوضح منه ما مر من قوله :

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله فإني أغشى منذ حين وتشرب

أقلُّ سلامي حُبَّ ما خفَّ عنكمُ وأسكتُ كما لا يكونَ جوابُ (١)
وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ سكوتى بيانٌ عندها وخطابُ (٢)

وانقطع أبو الطيب بعد إنشاد هذه القصيدة ليلتي الأسودِ إلاَّ أن يركبَ
فيسيرَ معه في الطريق ، وعميل (٣) على الرحيل ، وقد أعدَّ كلَّ ما يحتاج إليه على
ممر الأيام بلطف ورفق ، ولا يعلم به أحد من غلماناه ، وهو يظهر الرغبة في المقام ،
وطال عليه التحفظ ، فخرج ودفن الرماح في الرمال ، وحمل الماء على الإبل لعشر
ليال ، وتزود لعشرين ، وقال في يوم عرفة من سنة خمسين (٤) وثلاثمائة قبل سيره
من مصر بيوم :

عيدٌ بأية حالٍ عُدتْ يا عيدُ بما (٥) مضى أم لأمر فيك تجديدُ

ومنها :

إني نزلتُ بكذابين ضيفُهُمُ عن القرى وعن الترحال محدودُ
جودُ الرجالِ من الأيدي وجودُهُمُ من اللسانِ فلا كانوا ولا الجودُ

ومنها :

أكلما اغتال عيدُ السوءِ سيدَه أو خانه فله في مصرَ تمهيدُ
صار الخصى إمامَ الآبقين بها فالحرُّ مستعبدٌ والعبدُ معبودُ

وآخرها :

أولى اللثامِ كدَويفيرُ بمعدرةٍ في كلِّ لومٍ وبعضُ العذرِ تنقيدُ (٦)

(١) يقول : إنى أقلل من زيارتي سلامي رغبة في ألا أثقل عليكم .

(٢) يشير بهذا أيضاً إلى ما في نفسه من الحصول على ولاية من كافور .

(٣) ح ، د ، هـ : عجل . تحريف .

(٤) هـ : سنة ٣٥٣ . تحريف .

(٥) ح ، د ، هـ : بما .

(٦) الأصل : بمعتذر مصدر ميمي بمعنى الاعتذار . الديوان وسائر النسخ : بمعدرة وهذا أشهر .

التنقيد : اللوم وتضعيف الرأي . ومعنى البيت أن أولى من عذر في لؤمه كافور لحسه أصله وضعة قدره .

وبعض العذر لوم وهجاء . يريد : أن عذري في لؤمه لوم .

وذلك أن الفحول البيضَ عاجزةٌ عن الحمل فكيف الخصية السود^(١)

وفى يوم العيد سار من مصر هارباً ، وأخفى طريقه ، فلم يؤخذ^(٢) له أثر ، هربه من مصر حتى قال بعض أهل البادية : هبه سار فهل محا أثره ؟ وقال بعض المصريين إنما عمل طريقاً تحت الأرض ، وتبعته البادية والحاضرة من سائر^(٣) الجوانب ، وبذلك كافورٌ فى طلبه ذخائر الرغائب ، وكتب إلى عماله^(٤) فى سائر أعماله^(٤) ، ودخل أبو الطيب إلى موضع يُعرف بنَحْل بعد أيام ، وسار حتى قَرَّب من النقب^(٥) فرأى رائدين لبني سليم^(٦) على قَلْوصين^(٧) ، فركب الخيل ، وطردهما ، حتى أخذهما ، فذكر له أن أهلها أرسلوهما رائدين ، فاستبقاهما وردَّ عليهما القلوصين وسلاحيهما ، وسارا معه^(٨) حتى توسط بيوت بني سليم آخر الليل ، فضرب له

(١) رأى فى مدح المتنبي كافورا وهجائه إياه أن المتنبي كان متردداً فى قصده غاية التردد لأن أحوالاً قاسية هى التى أرغته على مفارقة سيف الدولة الأمير العربى الأرميى وقد كان يرجو عنده كل أمانيه فاضطرته هذه الأحوال إلى أن يقصد كافورا وغيره من الذين لا يرى استحقاقهم ما نعموا به من ملك وسطة وبخاصة أنه عربى يمقت الموالى وتكاد نفسه تنفطر بما أصاب دولة العرب وتوزعها بينهم وفى ذلك يقول :

وإنما الناس بالملوك وما تغلح عرب ملوكها عجم
فى كل أرض وطنها أم ترعى بعبد كأنها غم

وكان فى الوقت نفسه يرى حاجته إلى المال ويتطلع إلى أن ينال عند كافور ما لم ينل عند سيف الدولة فيمدحه ثم تعاوده خواطره فيتردد حتى يأتى الشعر ظاهره مدح وباطنه هجاء لاذع ثم يهجو صريحاً بعد أن ييأس منه ويفارقه فدحه كافورا لهذا لم يكن صادراً عن عاطفة صادقة ولهذا لا نجده فى جودة مدحه سيف الدولة ولكن هجاءه كان موجعاً حقاً .

(٢) سائر النسخ : يوجد .

(٣-٤) ما بين الرقمين ساقط من .

(٤) أعماله : ولاياته ..

(٥) النقب : موضع قرب المدينة المنورة ينشعب منه طريقان إلى وادى القرى ووادى المياه ذكره أبو الطيب فقال :

وأمتت تخيرنا بالنقبا ب وادى المياه ووادى القرى

ونخل : موضع غربى مسجد الأحزاب وقيل هو على ثلاثة أميال من المدينة وقيل منهل دون المدينة .

(٦) بنو سليم : من العرب الضاربين قرب المدينة .

(٧) القلوص : الفتى من الإبل للذكر والأثني .

(٨) ب ، ح ، د ، هـ : وسار معهما .

مُلاعِبٌ^(١) خيمة بيضاء ، وذبح له ، وسار إلى النقيع^(٢) ، فنزل ببادية مَعْن ، فذُبح له ، وسار إلى أن دخل حِسْمَى^(٣) ، وهي أرضٌ كثيرةُ النخل ، وطابت له حِسْمَى ، فأقام بها شهراً ، وكان نازلاً بها عند وردان بن ربيعة الطائي ، فاستغوى عبيده ، وأجلسهم مع امرأته ، فكانوا يسرقون له الشيء بعد الشيء من رحله . وكاتب الأسودُ سائر قبائل العرب في طلبه ، وظهر لأبي الطيب فسادُ عبيده ، وكان وردانُ الطائي يرى عند أبي الطيب سيفاً مستوراً ، فسأله أن ينظره ، فأبى ، لأنه كان على قائمته مئةٌ مثقال من الذهب ، وكان السيف ثميناً^(٤) ، فجعل الطائي يحتمل على العبيد بامرأته ، طمعاً في السيف ، لأن بعضهم أعطاه خبره ، فلما أنكر أبو الطيب أمر العبيد ، ووقف على مكاتبه الأسود ، ترك عبيده نياماً ، وتقدم إلى الجحيمال فشدَّ عليها أسبابه ، وسار والقوم لا يعلمون برحيله ، وطرح عبيده على الإبل وهم لا يعلمون^(٥) ، وأخذ في المسير ، وأخذ بعض العبيد السيف في الليل ، فدفعه إلى عبدٍ آخر مع فرسه ، وجاء ليأخذ فرس أبي الطيب ، فقتله له ، فقال الغلام : أخذ العبدُ الفرسَ يُغالطه ، وعدا نحو الفرس ليقعد في ظهره فالتقى هو وأبو الطيب عند الحصان ، وسلَّ العبدُ السيفَ فضرب رسته ، وضرب أبو الطيب وجه العبد ، وأمر الغلمان بقتله ، وكان هذا العبد أشدَّ من معه وأفرس ، فقال أبو الطيب القطعة التي أولها :

أعددت للغادرين أسيافاً أجدعُ منهم بهن آنافا

(١) رجل من بني سليم .

(٢) ب : اليفع . ح ، د ، هـ : البقيع والصواب في كل هذا النقيع بالدون وهو النقيع الحمى الذي جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحيل الجهاد وزاد فيه سيدنا عمر ثم سيدنا عثمان من بعده وهناك نقيع آخر وهو نقيع الخضات . وأما البقيع فهو مقبرة أهل المدينة في داخلها . انظر معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استمتع للبكري في النقيع الحمى .

(٣) حسمى : أرض ببادية الشام بينها وبين وادي القرى ليلتان وأهل تبوك يرون جبل حسمى في غريبهم وحسمى مسكن جذام من العرب وقد أشار ياقوت إلى أن المتنبي قد مر بحسمى ووصفها بأنها أرض طيبة .

(٤) كذا في أ وفي ب : يمينا ولعلها يمينا . ح ، د ، هـ : يمانيا وهذا هو الأقرب .

(٥) هذا كلام أشبه بالخرافة .

وقال أيضاً يهجو وردان :

إن تك طيبي كانت لثاماً
وإن تك طيبي كانت كراماً
مررتنا منه في جسمي بعبد
أشدّ بعيرسه عني عبدي
فإن شقيت بأيديهم جيادي
فالأمها ربعة أو بنوه^(١)
فوردان لغيرهم أبوه^(٢)
يمج اللوم منسخره وقوه
فأتلغهم ومالي أتلفوه
لقد شقيت بمنصلي الوجوه

ثم لما توسط بسبيطة^(٣) وهي أرض تقرب من الكوفة ، رأى بعض عبده ثوراً^(٤) يلوح * فقال هذه منارة الجامع ، ونظر آخر إلى نعامة فقال هذه نخلة ، فضحك أبو الطيب وضحكت البادية^(٥) التي كانت معه وقال :

بسبيطة مهلاً سقيت القطارا
فطنوا النعام عليك النخيل
وأمسك صحبي بأكوارهم
وتركت عيون عبدي حيارى
وظنوا الصوار^(٦) عليك المنارا
وقد قصد النوم فيهم وحراراً^(٧)

وسار أبو الطيب حتى دخل الكوفة في شهر ربيع^(٨) الآخر سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، ونظم المقصورة التي أوتها :

الأكل ماشية الخيزلني
فدي كل ماشية الهيدبي^(٩)

ذكر دخوله
الكوفة

(١) ح ، د ، هـ : إذا كانت بنو طي لثاماً . الديوان : لئن تك طيبي كانت لثاماً .

(٢) ح ، د ، هـ : وإن كانت بنو طي كراماً . الديوان : وإن تك طيبي كانت كراماً .

(٣) بسبيطة : بلفظ التصغير أرض في البادية بين الشام والعراق ، وهي أرض مستوية وليس بها ماء ولا مرعى ، سلكها أبو الطيب المتنبئ لما هرب من مصر إلى العراق . ياقوت .

(٤) كذا في أ ، ب . وفي معجم ياقوت : ثورا وحشيا . وفي ح ، د ، هـ : ثورا (بالذون) .

* زيادة من ب .

(٥) البادية : من معه من البدو . (٦) القطيع من البقر الوحشي .

(٧) الديوان : فأمسك ، الضحك بدل النوم وسياق الكلام يرجح الضحك . هـ : بأذوارهم مكان

بأكوارهم تحريف .

(٨) ح : جهاد فقط . ب ، د ، هـ : جهاد الآخر . الديوان شرح الواحدى : ربيع الأول .

(٩) سائر النسخ والديوان : الهيدبي وهي بمعنى الهيدبي في إحدى روايات الديوان .

الخيزل : مشية للنساء فيها تشاقل وتفكك . الهيدبي : ضرب من مشي الخيل فيه جد . يقول كل امرأة حسنة المشية فدى كل فرس سريعة الخطو يعنى أنه من أهل السيف تعجبه الخيل القوية على السير وليس من يعشقون النساء ويتغزلون بمحاسن مشيهن والقصيدة طويلة .

وصف فيها مسيره عن مصر ، وذكر المنازل التي قطعها ، وهجا كافورا ،
وعرض بجعفر بن الفرات ، ثم توجه إلى مدينة السلام^(١) .

[أبو الطيب في مدينة السلام] °

قال أبو علي الحاتمي^(٢) : كان أبو الطيب عند وروده مدينة السلام ، قد التحف برداء الكيسر والعظمة ، يُخَيَّلُ له أن العلم مقصورٌ عليه ، وأن الشعر لا يتعترف عذبه غيرهُ ، ولا يتقطف نُورَآه سواه ، ولا يرى أحداً إلا ويرى لنفسه مزيةً عليه ؛ حتى إذا تخيل أنه نسيجٌ وحده ، وأنه مالكُ رِقِّ العلم دون غيره ، وثقلت وطأته على أهل الأدب بمدينة السلام ، وطأطأ كثيرٌ منهم رأسه ، ونحفَصَ جناحه ، واطمأن على التسليم جأشهُ ، وتخيَّل أبو محمد المهلبى أنه لا يتمكن أحد من مساجلته ومقارعتة ، ولا يقوم لمجادلته ، والتعلق بشيء من مطاعنه ، وساء مُعزِّزُ الدولة^(٣) أن يتردَّ على حضرته رجلٌ صدرَ عن حضرة عدوِّه^(٤) ، ولم يكن بمملكته أحدٌ يُماثلُهُ فيما هو فيه ، ولا يساويه في منزلته يبدي لهم عوارَه ويكفي آثاره ، ويهتك أستاره ويمزق جلابيب مساويه ، فتوخيت أن يجمعنا

ما جرى له
مع الحاتمي

(١) المنتهى في فراره من مصر لم يقصد إلى الكوفة مباشرة بل عرج على الحجاز وسار فيه إلى أن قارب مدينة الرسول ولكنه لم يدخلها وما زال ينتقل في مضارب الأعراب مدة لا تقل عن أربعة أشهر حتى إذا أحس أن عيون كافور وأرصاده قد انصرفت عن تتبعه خرج إلى الشام ثم إلى الكوفة وقد تتبع ياقوت في معجم البلدان هذه الرحلة تتبعاً دقيقاً فكلما ذكر بلداً أو ماء مر به المنتهى ذكر فيه شيئاً من أخباره وربما استشهد بشيء من شعره .

• هذا العنوان من وضعنا

(٢) أبو علي الحاتمي : هو محمد بن الحسن بن المظفر (كما في معجم الأدباء ١٨ : ١٥٤) ، كان من المولعين بدرس الشعر ونقده وله في ذلك عدة مؤلفات وقد خدم سيف الدولة مدة كان فيها مع أبي علي الفارسي وابن خالويه وأبي الطيب اللغوي وأمثال هؤلاء من كانوا في بساط سيف الدولة ، وكان معاصراً للمنتهى وإذا صلة بالوزير المهلبى ، وكلاهما يضمّر للمنتهى أشد العداوة فترى ص الحاتمي منتظراً قدوم المنتهى بغداد ليناظره ، ويؤلب عليه العامة ، ويزهدهم في شعره ، وقد تم له ما أراد ، توفي سنة ٣٨٨ هـ . وما قصه المؤلف من مناظرة الحاتمي للمنتهى مختصر لم يلتزم فيه نص ما قال الحاتمي ، والرسالة منشورة بنصها بكتاب الإبانة طبع دار المعارف .

(٣) معز الدولة : يزيد معز الدولة بن بويه . (٤) يريد سيف الدولة .